كتاب التجليات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على محمد وآله. الحمد لله محكم العقل الراسخ، في عالم البرازخ، بواسطة الفكر الشامخ، وذكر المجد الباذخ، معقل الأعراس، مجلي وجود الأنفاس، منشأ القياس، وحضرة الالتباس، مورد الإلهام والوسواس، ومعراج الملك والخناس، منزل تنزل الروحانيات العلي، في صورة القوالب الجنسية السفلى، عند ارتقائها عن الحضيض الأوحد الأدنى، ووقوفها دون المقام الأعلى، متمم حضرة الوجود، ومعدن نسب الكرم والجود، خزانة الرموز والألغاز، وساحل بحر الإمكان والجواز، حمده بالحمد الموضح المبهم، كما يعلم وكما أعلم وصلى الله على الرداء المعلم، الرضي بالمرتدي الأقدام، على آله الطاهرين وسلم، هذا التنزل من منازل الطلسم الثالث وهو واحد من ثلاثة عشر.

قال تلميذ جعفر الصادق صلوات الله عليه سألت سيدي ومولاي جعفراً لماذا سمي الطلسم طلسماً، قال صلوات الله عليه لمقلوبه يعني أنه مسلط على ما وكل به وقد وصفناه بكماله في كتاب الهياكل فلينظر هناك إن شاء الله وهو من حضرة الوحدانية المطلقة التي لا تعلق للكون بها لأنها للأول الذي لا يقبل الثاني وحضرة التوحيد التي تقبل الكون لتعلقه بها مذكورة في كتاب الحروف من «الفتوحات المكية» الذي هذا كتاب منه فلينظر هناك إن شاء الله.

فلنقل بعد التسمية أن حضرة الألوهية تقتضي التنزيه المطلق ومعنى التنزيه المطلق الذي تقتضيه ذاتها مما لا يعرفه الكون المبدع المخلوق فإن كل تنزيه يكون من عين الكون لها فهو عائد على الأكوان فلهذا قال من قال «سبحاني» لإعادة التنزيه عليه واستغنائها بالتنزيه المطلق فللألوهية في هذا التنزل تجليات كثيرة لو سردنا هاهنا طال الأمر علينا فلنقتصر منها على ذكر بضع ومائة تجل أو أكثر من ذلك بقليل بطريق الإيماء والايجاز لا بطريق التصريح والإسهاب، فإن الكون لا يحمله من حيث الفهوانية وكلمة الحضرة لكن يحمله من حيث التجلي والمشاهدة فكيف من حيث النيابة والترجمة، ثم إن الرحمة الشاملة التي بها كان الاستواء على عرش الربوبية بالاسم الرحمٰن الموصوف بالمجد والعظمة والكرم نسجت جوداً

على الممكنات كلها فأظهرت أعيانها سعيدها وشقيها، رابحها وخاسرها وألقت كل فرقة على جادتها وحسب كل فرقة غاية طريقها فالله يجعلنا ممن جعل على الجادة التي هو سبحانه غايتها وتنزهنا عن ظلم المواد ومكايدة أعراض النفوس المقيدة بالأجسام فنعم الوفد وفد الرحمٰن فطوبى لهم ثم طوبى لهم وحسن مآب.

١ ـ **تجلي الإشارة من طريق السر:** اعلم أن الرقيم المشار إليه ليس يشار إليه من حيث هو موجود لكن من حيث هو حامل لمحمول والإشارة للمحمول لا عليه وهو من بعض السنة الفهوانية فصورته في هذا المقام من طريق الشكل صورة المثلث إذا نزل إلى عالم البرازخ عالم التمثل كنزول العلم في صورة اللبن فزاوية منه تعطي رفع المناسبة بين الله وبين خلقه، والزاوية الثانية تعطي رفع الالتباس عن مدارك الكشف والنظر وهو باب من أبواب العظمة، والزاوية الثالثة توضح طريق السعادة إلى محل النجاة في الفعل والقول والاعتقاد وأضلاعه متساوية في حضرة التمثيل فالضلع الواحد يعطي من المناسبة ما تقع به المعرفة بين الله وبين العبد، فمن شاهد هذا المشهد عرف علم الله بنا أي كيفية تعلقه بنا ومعرفتنا به ماذا نعرف فإن معرفتنا جزء به لا يصح أن يكون متعلقها كلا.

والضلع الآخر ضلع النور يريك ما في هذا الرقيم فيه تبصر ما رقم في درجتك وما هنالك من قرة عين في درجك والضلع الثالث يعطيك الأمور التي تتقي بها حوادث الأقدار وما تجري به الأدوار والأكوار فتحفظ ذلك فإذا استوفيت هذا المشهد علمت أنك أنت الرقيم وأنك الصراط المستقيم وأنت السالك وفيك وإليك تسلك فأنت غاية مطلبك وفناؤك وذهابك في مذهبك فبعد السحق والمحق والتحقق بالحق والتمييز في مقعد الصدق لا تعاين سواك والعجز عن درك الإدراك إدراك.

٢ ـ **تجلي نعوت التنزه في قزة العين:** اعلم أنك إذا غيبت عن هذا التجلي الأول وأسدل الحجاب أقمت في هذا التجلي الآخر ترتيباً إلهياً حكمياً ليس للعقل فيه من حيث فكره قدم بل هو قبول كشفي ومشهد ذوقي ناله من ناله فقام العبد في إنسانيته مقدس الذات منزه المعاني الأحكام تتعشق به الفهوانية تعشق علاقة تظهر أثرها عليه فيكور موسوي المشهد، محمدي المحتد، فلا تزال النظر بالأفق الأعلى إلى أن ينادي من الطباق، لسفلى إحذر من الحد عند نظرك إلى الأفق الأعلى فإني مناديك منه ومن هنا فيتدكدك عند ذلك جبلك، ويصعق جسدك، ومدحت نفسك في الذاهبين إلى محل التقريب بمشاهد اليقين فتعطى من التحف ويهدى إليك من الطرف ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ثم ترد إلى المنظر الأجلى بالأفق الأعلى عند الاستواء لا قدس الأزهى، فيأتيك عالم الفقر والحاجة من ذات جسدك لغريب يسألون نصيبهم من تحف الحبيب فأعطهم ما سألوا على مقدار شوقهم وتعطشهم، ولا تنظر إلى إلحاحهم في المسألة فإن الإلحاح صنعة نفسية وقوة تعليمية ولكن أنظر إلى ذواتهم بالعين التي لا تستتر عنها الحجب والأستار وأقسم عليهم على قدر ما يكشف منهم فمن استوت ذاته فأجزل له في العطية ومن تعاظم عليك وتكبر فكن له اوطأ مطية ولا تحرمه ما تقتضيه ذاته وإن تكبر فتكبره عرضي فعن قريب ينكشف الغطاء وتمر الرياح بالأهواء ويبقى الدين الخالص فتحمد عند ذلك عاقبة ما وهبت، والأرزاق أمانات بأيدي العباد روحانيها وجسمانيها فإذا الأمانة تسترح عن عبثها وإن لم تفعل فأنت الظلوم الجهول وعلى الله قصد السبيل.

٣ ـ تجلي نعوت تنزل الغيوب على الموقنين: وبعد هذا التجلي المتقدم يحصل لك هذا التجلي الآخر تستشرف منه على مآخذ كل ولي خاص مقرب وغيره ومآخذ الشرائع الحكمية والحكمية وسريان الحق فيها وارتفاع الكذب منها ثم يلقى إليك ما يختص باستعدادك من ما لا تشارك فيه فتمرض في هذا التجلي وتموت وتحشر وتنشر وتسأل ويضرب لك صراطك على متن جهنم طبيعتك ويوضع لك ميزانك في قبة عدلك وتحضر لك أعمالك صوراً أمواتاً أحياء على قدر ما كان حضورك مع ربك فيها ولست بنافخ فيما مات منها روحاً في ذلك التجلي فإنها مثال الدار الآخرة وتعطى كتابك بما كان من يديك مطلقاً وترى فيه ما قدمت فيرتفع الشك والالتباس، ويأتي اليقين كما قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩] بمعانية هذه الأشياء وهذه هي القيامة الصغرى ضربها لك الحق مثلاً في هذا التجلي سعادة لك وعناية لك أو شقاوة أن ضللت بعدها فتكون من أضله على علم وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ﴾ [التوبة: ١١٥] فأعرف ما تشهد ولا تحجب بما أسدل لك من لطائف الغيوب والأسرار وتنزل هذه الأنوار عن التحقيق بالمعاملات عند الرجوع من هذا التجلي إلى عالم الحس وموطن التكليف فإن الحق ضربه لك مثالاً حتى تصل إليه بعد الموت عياناً فقد أمهلك ومن عليك إذ ردك إلى موطن الترقي وقبول الأعمال لتنفخ روحاً في تلك الصورة الميتة فيكسوها حلة الحياة فتأخذ غداً بيدك إلى مستقر السعادة فإنه خير مستقراً وأحسن مقيلاً.

٤ ـ تجلي الإشارة من عين الجمع والوجود: هذا التجلي يحضر لك فيه حقيقة محمد ﷺ ويشاهده في حضرة المحادثة مع الله فتأدب واستمع ما يلقي إليه في تلك المحادثة فإنك تفوز بأسنى ما يكون من المعرفة فإن خطابه لمحمد ﷺ ليس خطابه إياك فإن استعداده

للقبول أشرف وأعلى فألق السمع وأنت شهيد فتلك حضرة الربوبية فيها يتميزون الأولياء ويتجاوزون في طرق الهداية من جمعية أدنى إلى جمعية أعلى، فأعلى إلى مكانه زلفى إلى مستوى أزهى، إلى حضرة عليا، إلى المحل الأسمى، حيث لا ينقال ما يرى فإذا رجعت من هذا التجلي أقمت في التجلي الأنية من حيث الحجاب.

٥ ـ **تجلي الأنية من حيث الحجاب والستر:** وهذا التجلي أيضاً يحضر فيه معك حقيقة محمد ﷺ وما من تجلى لولي يحضر معه فيه ولي أكبر كالنبي وغيره إلا وكلمة الحضرة مصروفة للأكبر وهذا الآخر سامع وهي عناية إلهية بهذا العبد فليسمع من تلك المحادثة الأسرار المكتمة والغيوب التي لا تتجلى أعلامها لمن لم يقم في هذا التجلي ومن هذه الحضرة تعرف أن لله عباداً أمناء لو قطعهم إرباً إرباً أن يخرجوا له بما أعطاهم في أسرارهم من اللطائف بحكم الأمانة المخصوصة بهم وهم المبعوثون بها إليهم ما خرجوا إليه بشيء منها لتحققهم بالكتمان ومعرفتهم بأن ذلك البلاء ابتلاء لاستخراج ما عندهم ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩٩﴾ [الأعراف: ٩٩] فكيف إن يخرجوا إلى غيرهم فهم يودونها إلى وجودهم كما أمروا فيجلى أعلامها دار العقبى ويتميزون بها بين الخلائق فيعرفون في تلك الدار بالأخفياء الأبرياء والأمناء طال ما كانوا في الدنيا مجهولين وهم الملامتية من أهل طريقنا أغناهم العيان عن الإيمان بالغيب وانحجبوا عن الأكوان بالأكوان قد استوت أقدامهم في كل مسلك على سوق تحقيقه فهم الغوث باطناً وهم المغاثون ظاهراً فإن شهدتهم في هذا التجلي فأنت منهم وإن لم تشهدهم فتحفظ عند الرجوع إليك فإنك ستجول في ميدان الدعاوى وإن كنت على حق فيها وقائماً على قدم صدق فإن لطف بك حجبت عنك أسرار الكتم فلم تعرفها فعشت سعيداً بما عرفت ومت كذلك، وإن خذلت أعطيت أسرار الكتم ولم تعط مقامه فبحت فحرمت ثناء الأمانة وخلعت عليك خلع الخيانة فيقال ما أكفره، وما أجهله، وحقاً ما قيل ويقيناً ما نسب أتيت بالعبيان في موطن الإيمان فكفروك فجهلك عين إتيانك فنطقوا بالحق وهم مأثومون.

٦ ـ **تجلي أخذ المدركات عن مدركاتها الكونية:** وهذا التجلي أيضاً تحضر فيه الحقيقة المحمدية وهو التجلي من اسمه الحميد فعند النواظر عن التصرف الذي ينبغي لها وجميع المدركات وفي هذا المقام يشاهد الاسم الذي بيده الختم الإلهي وكيفية فعله به في الوجود فيه تختم النبوة والرسالة والولاية وبه يختم على القلوب المعتنى بها ولا يدخل فيها كون بعد شهود الحق بحكم التحكم والملك لكن يدخل بحكم الخدمة والأمر ثم يخرج وما وقع بعد هذا المقام من تعلق الخواطر بحب جارية أو غير ذلك فذلك بحكم الطبع لا من جهة السر الرباني المختوم عليه الذي هو بيت الحق ومقعد الصدق ومن هنا كان حب الأنبياء صلوات

الله عليهم ومن هنا أصل الحب في الكون مطلقاً غير أن أسرار العامة وإن لم يختم عليها بخاتم العناية لكن ختم عليها بغير ذلك فأسرارهم في ظلمة وعمى من حيث صرف وجهها للطبع الذي هو الظلمة العظمى والحب في الخلق على أصله في العالي والدون وليس حب الله من هذا القبيل وهو من هذا القبيل غير أن أكثر الناس لا يفرقون بين ذلك فحبنا لله أيضاً من حيث الإحسان فهو من حيث الطبع وحبنا المقدس عن ظلمة الطبع ينسب إلينا على حد ما ينسب إلى الحق فكما لا يكون حبه مثلاً كذلك لا يمال إليه وهذا التجلي يعرفك حقيقة هذين الحكمين في المحبة.

٧ ـ **تجلي اختلاف الأحوال:** هذا التجلي هو الذي يكون على غير صورة المعتقد فينكره من لا معرفة له بمراتب التجليات ولا بالمواطن فاحذر من الفضيحة إذا وقع التحول في صور الاعتقادات وترجع تقر بمعرفة ما كنت قائلاً بنكرانه وهذه الحقيقة هي التي تمد المنافقين في نفاقهم والمرائين في ريائهم ومن جرى هذا المجرى.

٨ ـ **تجلي الالتباس:** هذا التجلي يعرف الإنسان منه دقائق المكر والكيد وأسبابه من أين وقع فيه من وقع ويعرف أن الإنسان يتحليه بما هو عليه من الأوصاف فليحذر ومما يحجبه عن الله تعالى ومن هذا التجلي قال من قال سبحاني ومنه قال عليه السلام إنما هي أعمالكم ترد عليكم وصورة اللبس هو الذي فيه كون الإنسان يعتقد أن أعماله وفعله ليس هو خلقه عليه وأنه أمر يعرض ويزول فمن وقف على هذا المنزل وشاهد هذا التجلي فقد آمن من المكر وعرف كيف يمكر لكنه حتى يحصل في المواطن الذي يقتضي المكر والكذب كقوله ﷺ، «الحرب خدعة»، وكالإصلاح بين الرجلين وكقوله، هي أختي، وما أشبه ذلك فلهم في الخروج عن هذا المراتب المباح فيها الكذب والمكر مسالك غيرها تخرج عليها ولا يتجلى بهذا الوصف ولا يغتر بقوله، ومكر الله، وشبه ذلك فإن مكرهم هو العائد عليهم تجليه فهو مكر لله بهم فتحقق في هذا التجلي وقف حتى تحصل ما فيه.

٩ ـ **تجلي رد الحقائق:** هذا التجلي إنما يتحقق به من ليس له مطلب سوى الحق من حيث تعلق الهمة لا من حيث الكسب والتعشق بالجمال المطلق فتبدو له الحقائق في أحسن صورة بأحسن معاملة بألطف قبول فيقول:

ألا كـــل شـــيء مـــا خـــلا الله بـــاطـــل

وما هي باطل لكن غلب عليه سلطان المقام كما قال عليه السلام «أصدق بيت قالته العرب».

ألا كـــل شـــيء مـــا خـــلا الله بـــاطـــل

والموجودات كلها وإن كانت ما سوى الله فإنها حق في نفسها بلا شك لكنه من لم يكن له وجود من ذاته فحكمه حكم العدم وهو الباطل وهذا من بعض الوجوه التي بها يمتاز الحق سبحانه من كونه موجوداً عن سائر الموجودات أعني وجوده بذاته وإن لم يكن على الحقيقة بين الحق والسوي اشتراك من وجه من الوجوه حتى يكون ذلك الوجه جنساً يعم فيحتاج إلى فصل مقوم، هذا محال على الحق أن يكون ذاته مركبة من جنس وفصل.

١٠ ـ تجلي المعية: ولما كان الإنسان نسخة جامعة للموجودات كان فيه من كل موجود حقيقة فتلك الحقيقة تنظر إلى ذلك الموجود وبها تقع المناسبة وهي التي تنزل عليه فمتى ما أوقفك الحق مع عالم من العوالم وموجود من الموجودات فقل لذلك الموجود بلسان تلك الحقيقة معك بكليتي ليس عندي غيرك بالعرض فإنه يصطفيك ويعطيك جميع ما في قوته من الخواص والأسرار هكذا مع كل موجود ولا يقدر على هذا الفعل إلا حي يحصل في هذا التجلي التي هي معية الحق تعالى مع عباده قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] فإذا تجلى في هذه المعية عرفت كيف يتصرف فيما ذكرته لك.

١١ ـ تجلي المجادلة: إذا كان لك تجلي من اسم ما وقع الكشف وما حصل القدم في بساط ذلك التجلي ثم قيل لك ارجع فلا ترجع وقل إن كان رجوعي إليه فليس يخلو عنه مقام فلماذا يقال لي أرجع هذه الحضرة أيضاً طريق فدعني أمشي عليها وإن كنت أرجع إلى غيره فأنا لم أحكم هذا الموقف ولا عرفت هذا التجلي من حكم الذات فأدخلني في بساطه حتى أرى ما لديه.وحينئذ تنتقل وتحفظ من الرجوع فإن قيل لك إنما تجني في هذه التجليات ثمرات أعمالك وكنت في عمل يقتضي هذا فقل صحيح ذلك فأين العفو والغفار والرحيم والمحسان وأين القائل أنا عند ظن عبدي بي وما ظننت إلا خيراً فإنه ينتفع بهذا.

١٢ ـ تجلي الفطرة: اعلم أن الإنسان ملك الهداية في أول نشأته وهي الفطرة التي فطره الله عليها وفطر الناس عليها وهو ميثاق الذر وهذه الهداية ليس للإنسان من جهة ما يقتضيه طبعه وجه يقضي له التعشق بها فهو منافر لها طبعاً والغواية لم يملك إياها وملكها الشيطان وهي تلائم الطبع الإنساني وتوافق مزاجه وله بها تعشق نفساني وسبب ذلك أن الإنسان لما كان ربانياً في أصله لم يحمل التحجير عليه والهداية تحجير والغواية رفع التحجير وإظهار ربوبية الإنسان فلذلك لم يعصمه الله مع قناع السعادة التي هي ملكه بالشقاء لملائمته لطبعه في الوقت بدار الدنيا فإن السعادة تلائم طبعه أيضاً لكن في المستأنف فيعجل ولذلك قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ [الإسراء: ١٨] فهذا التجلي إذا حصل فتحقق في الثبات فيه فإنه يثبتك على الفطرة والسعادة.

١٣ ـ تجلي السريان الوجودي: سر الأمر سري في الوجود سريان النور في الهواء فظهرت العلل والأسباب والأحكام الفاعلة وغاب كل موجود عن حقيقته وانفعاليته ومعلوليته وقال أنا وزهى واستكبرت الموجودات بعضها على بعض وغاب المستكبر عليه على مشاهدة المتكبر عليه بتكبره على شبهه ومعلوله فظهر الكبرياء في العالم ولم يظهر تعظيمه وكان الظهور على الحقيقة لمن له الكبرياء الحق ذلك هو الله العزيز العليم.

١٤ ـ تجلي الرحموت: انتشرت الرحمة من عين الوجود فظهرت الأعيان في الوجود عن الكلمة للخروج لكن التعشق أخرجه وابرز عينه لكلمة الحضرة التي هي كن فلما برز طلب رؤية المحبوب الذي له خرج فلم يجد لذلك سبيلاً وقام دونه حجاب العزة فلم يرى سوى نفسه فاغتم، وقال من مشاهدة كوني هربت وإياه طلبت فإن ظهوري لي في محبتي غيبتي عن مشاهدتي له في علمه حيث لم أظهر لعيني فاذ ولا تجلي فرجوعي إلى العدم ومشاهدتي له من حيث وجودي في علمه أولى من مشاهدة كوني فلذلك وطني حيث أحدية المعين وعدم الكون.

ولما بدا الكون الغريب لناظري حننت إلى الأوطان حن الركائب

١٥ ـ تجلي الرحمة على القلوب: استوت الرحمة على القلوب ففتحت أعين البصائر فأدركت ما غاب عنها وهي مقلة وإرادة على حضرة الغيب والمنزه الأبهى وعرفت بهذا التجلي أن الله اختصها من غيرها من القلوب التي أعماها الله تعالى عنه فأشهدها ظلمتها فنظرت إليها صادرة عمياء منحطة إلى أسفل سافلين منكوسة الرأس ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فكل من قيده الطرف فهو المحتوى عليه المحصور في قيد الأين في ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن يجعل الله له نوراً من عنده فماله نور من ذاته.

١٦ ـ تجلي الجود: انتشر الوجود في العالم فثبتت أعيان الموجودات بأسرها فلا زوال لها وانتشر الصلاح في المحل القابلة له فصلحوا وأصلحوا وملكت الرقاب وظهرت الدعاوى وفي أهلها وجاد الأغنياء على الفقراء بما في أيديهم وجاد الفقراء على الأغنياء بالقبول منهم فنعم الفريقان فصلح ظاهر الفقير وصلح قلب الغني قال كل في النعيم دائمون، وبمشاهدتهم مسرورون.

١٧ ـ تجلي العدل والجزاء: انتشر العدل فمال قوم إلى ظلمة الطبع فهو جزاؤهم ومال قوم إلى نور الشرع فهو جزاؤهم والمائلون إلى نور الشرع من حيث حقائق لطائفهم هم المفردون الذين لا يعرفون والمائلون من حيث حقائق كنائفهم في روضة يحبرون يطوف

عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين.

١٨ ـ **تجلي السماع والنداء:** فتق الأسماع نداء الأمر فأدركت بالعرض نغمات الحبيب، فسمعت فطابت فتحركت عن وجد صادق فوجدت فحمدت فحصلت لطائف الأسرار وعوارف المعارف ولذات المشاهد والمواقف فرجعت إلى وجودها فتصرفت على قدر شهودها.

١٩ ـ **تجلي السبحات المحرقة:** ارتفعت الأنوار والظلم، وسطعت على العارفين سبحات الكرم، فدفع سلطان إحراقها، قدم الصدق فحماهم فهم من وجه وما هم إذ لا ثبوت لكون في شهوده إلا بجود وجوده، وذلك أنه لو اجتمعت العينان لأحرقت الأكوان فلما رأيناه من غير الوجه الذي يرانا ثبتنا فشاهدنا عياناً.

٢٠ ـ **تجلي التحول في الصور:** تنوعت الصور الحسية فتنوعت اللطائف فتنوعت المآخذ فتنوعت المعارف فتنوعت التجليات فوقع التحول والتبدل في الصور في عيون البشر ولا تعاين إلا من حيث المعلم والمعتقد والله أجل وأعز من أن يشهد.

٢١ ـ **تجلي الحيرة:** جل جناب الحق العزيز إلا حمى عن أن تدركه الأبصار فكيف البصائر فأقامهم في الحيرة فقالوا زدنا فيك تحيراً إذ لا تحيرهم إلا بما يتجلى لهم فيطمعون في ضبط ما لا ينضبط فيحارون فسؤالهم في زيادة التحير سؤالهم في إدامة التجلي.

٢٢ ـ **تجلي الدعوى:** قل لمن ادعى العلم الحق والوجود الصرف إن صار لك الغيب شهادة فأنت صاحب علم، وإن ملكت الأخبار السليمة المدركة، وإن حكمت على ما علمت وعاينت ما تريده وجرى معك على ما حكمت به فأنت الحق الذي لا يقبله ضد.

٢٣ ـ **تجلي الإنصاف:** إن ادعيت الوصلة وجمع الشمل أخاف عليك أن يكون جمعك بك لا جمعك به فتقول قد وصلت وأنت في عين الفصل وتقول اجتمعت وأنت في عين الفرق هذا المحك والمعيار والميزان لا تغالط نفسك في هذا المقام فهو يشهد بالبراءة منك الأكوان تحدث مع الأنفاس لا أطالبك بمعرفتها معيارك الحادث الكتاب الذي تهتز إليه النفوس السالفة وتطيش له القلوب الثابتة قبل حلول أو أنه فقد أتاك به النبأ العظيم على لسان الملك الكريم ومن طريق المحادثة النديم من غير أن يعرف حركة فلكية ولا قرانات دورية هذا معيارك فلازمه.

٢٤ ـ **تجلي معرفة المراتب:** مشاهدة القلوب اتصالها بالمحبوب اتصال تنزيه لا اتصال تشبيه فكان بلا كون لأنك كنته ومشاهدة العيان النظر من غير تقيد بجارحة ولا بنية فالبصر

والرؤية صفة اشتراك وإن كان ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، والقلب صفة خاصة لك فتشهده بالبصر من حيث يشهدك فيكون بصره لا بصرك وتشهده بالقلب من حيث لا يشهدك فمشهد القلب يبقيك ومشهد البصر يحرقك ويفنيك.

٢٥ ـ تجلي المقابلة: إذا صفت مرآتك وكسرت زجاجة وهمك وخيالك وما بقي لك سوى الحق في كل ما يتجلى لك فلا تقابل مرآتك إلا حضرة ذات ذاتك فإنك تربح ولكن أن تلبس عليك الأمر فاقلب وجه مرآتك نحو حضرة الكون واعتبرها في الأشخاص فإن النفوس تتجلى فيها بما فيها من صور الخواطر فتكلم على ضمائر الخلق ولا تبالي حتى يسلم لك جميع من تكلمت على ضميره ولا تجد منازعاً واثبت عند الاختبار فقد يرد الحق على وجهك ابتلاء فإن كنت صادقاً فاثبت وإن وجدت عندك خللاً عند الموافقة فما كسرت زجاجتك ولا تتعدى قدرك وتعمل في التخليص.

٢٦ ـ تجلي القسمة: ما من خلق إلا وله حال مع الله فمنهم من يعرفه ومنهم من لا يعرفه، وأما علماء الرسوم فلا يعرفونه أبداً فإن الحروف التي عنها أخذوا علومهم هي التي تحجبهم وهي حضرتهم وهم الذين هم على حرف ليس لهم رائحة من نفحات الجود فإن مآخذهم من كون الحروف ومعلومهم كون فهم من الكون إلى الكون مترددون بداية ونهاية فكيف لهم بالوصول وإن كان لهم أجر الإجهاد والدرس بالأجر كون أيضاً فما زال من رق الكون ووثاق الحرف، وأما من كان على بينة من الله تعالى فإنه يكشف له عما إراده فيطمئن ويساكن تحت جري المقادير فطاعته له مشهودة ومعاصيه له مشهودة فيعرف متى يعصي وكيف يعصي ولمن يعصي وأين يعصي وكيف يتوب ويجتبي فيبادر لكل ما كشفت مستريحاً برؤية عاقبته متميزاً عن الخلق بهذا الحق.

٢٧ ـ تجلي الانتظار: المحقق إذا صرف وجهه نحو الكون لما يراه الحق من الحكمة في ذلك فيحكم بأمر لم يصل أو انه لا على الكشف له لكن يشاهد القلب ودليل صدق الخاطر وميز الحركة فأولى به انتظار ما حكم به حتى يقع فإنه إن غفل عن هذا الانتظار ربما زهق من حيث لا يشعر فإنه في موطن التلبيس فليحذر المحقق من هذا المقام ولا معيار له إلا الانتظار.

٢٨ ـ تجلي الصدق: من كان سلوكه بالحق ووصوله إلى الحق ورجوعه من الحق بالحق فنظره الحق من كونهم حقاً بالحق واستمداده من عرفا نيات الحق فلم يخط له حكم فلم يجر على لسانه ولا عليه لسان باطل وكان حقاً في صورة خلق بنطق حق وعبارة خلق.

٢٩ ـ تجلي التهيؤ: إذا تهيأت القلوب وصفت بأذكارها وانقطعت العلائق بأستارها

وتقابلت الحضرتان وسطعت أنوار الحضرة الإلهية من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور: ٣٥] والتقت بأنوار عبودية القلب وهو ساجد سجدة الأبد الذي لا رفع بعده اندرج نور العبودية في نور الربوبية إن كان فانياً فإن كان باقياً اندرج نور الربوبية في نور العبودية فكان له عيناً ومعنى وروحاً وكان نور العبودية شهادة ولفظاً وجسماً لذلك النور فسرى نور العبودية في باطنه الذي هو نور الربوبية فانتقل في أطوار الغيوب من غيب إلى غيب حتى انتهى إلى غيب الغيوب فذلك منتهى القلوب والانتقال ولا يحصى ما يرجع به من لطائف التحف التي تليق بذلك الجانب العالي.

٣٠ ـ **تجلي الهمم**: جمع الهمم على الهم الواحد حتى يفنى في الواحد بالواحد فيبقى الواحد يشهد الواحد ذلك من أحوال الرجال عبيداً لاختصاص فيشرح لهم الصدور عما أخفي لهم فيها من قرة أعين ويسبحون في أفلاك الأقدار شموساً إن كانوا بالحق، وبدوراً إن كانوا بالعين، ونجوماً إن كانوا بالعلم فيعرفون ما يجري به الليل والنهار إلى يوم الشق والانفطار فيكون من كان شمساً ويخسف من كان بدراً أو ينطمس من كان نجماً فلا يبقى نور الأنور الحق وهو نور الوحدانية الذي لا يبقى لتجليه نور فيفيض على ذاته من ذاته نور في نور.

٣١ ـ **تجلي الاستواء**: إذا استوى رب العزة على عرش اللطائف الإنسانية كما قال ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي ملك هذا العرش جميع اللطائف فتصرف فيها ويحكم بحكم الملك في ملكه وتصرف تصرف المالك في ملكه ألا فهو القطب.

٣٢ ـ **تجلي الولاية**: الولاية هو الفلك الأقصى من سبح فيه اطلع ومن اطلع علم ومن علم تحول في صورة ما علم فذلك الولي المجهول الذي لا يعرف والنكرة التي لا تتعرف لا يتقيد بصورة ولا تعرف له سريرة يلبس لكل حالة لبوسها أما نعيمها وأما بؤسها:

يوماً يمان إذا لاقيت ذا يمن ... وإن لقيت معدياً فعدنان

٣٣ ـ **تجلي المزج**: دار المزاج يشبه نطفة الأمشاج، فما اردأ ما يكون بينهما النتاج، لكن الحق جعل للشقي دلالة وللسعيد دلالة وجعل للوصول إليهما عيناً مخصوصة في أشخاص مخصوصين ونوراً مخصوصاً من حضرة مخصوصة إلهية فإذا كشف غطاء الأوهام عن هذه العين وطرد ذلك النور المخصوص ظلام الأجسام عن هذا الكون أدركت الأبصار بتلك الأنوار علامات الأشقياء والأبرار، واستعجلت قيامتهم لما تخلصوا وأخلصوا.

٣٤ ـ **تجلي الفردانية**: لله ملائكة مهيمون في نور جلاله وجماله في لذة دائمة، ومشاهدة لازمة، لا يعرفون أن الله خلق غيرهم ما التفتوا قط إلى ذواتهم فأحرى ولله قوم من بني آدم الإفراد الخارجون عن حكم القطب لا يعرفون ولا يعرفون قد طمس الله عيونهم فهم

لا يبصرون حجبهم عن غيب الأكوان حتى لا يعرف الواحد منهم ما ألقى في جيبه أخرى أن يعرف ما في جيب غيره أحرى أن يتكلم على ضميره يكاد لا يفرق بين المحسوسات وهي بين يديه جهلاً بها لا غفلة عنها ولا نسياناً وذلك لما حققهم به سبحانه من حقائق الوصال واصطنعهم لنفسه فما لهم عرفة لغيره فعلمهم به ووجدهم فيه وحركتهم منه وشوقهم إليه ونزولهم عليه وجلوسهم بين يديه لا يعرفون غيره قال عليه السلام سيد هذا المقام «أنتم أعرف بمصالح دنياكم».

٣٥ ـ **تجلي التسليم:** لا تعترضوا على المجتهدين من علماء الرسوم ولا تجعلوهم محجوبين على الإطلاق فإن لهم القدم الكبيرة في الغيوب وإن كانوا غير عارفين وعلى غير بصيرة بذلك ولذلك يحكمون بالظنون وإن كانت علوماً في أنفسها حقاً وما بينهم وبين الأولياء أصحاب المجاهدات إذا اجتمعوا في الحكم إلا اختلاف الطريق وكان غاية أولئك الكشف فكان ما أتوا به علماً في نفسه علماً لهم فدعوا إلى الله في ذلك الحكم على بصيرة قال عليه السلام في تلاوته للقرآن ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وهم أهل المجاهدات الذين اتبعوه في أفعاله أسوة واقتداء فأوصلهم ذلك الاتباع إلى البصيرة وكان غاية المجتهدين غلبة الظن فكان ما أتوا به علماً في نفسه ظناً لهم فدعوا إلى الله على غير بصيرة فلهم حظ في الغيوب مقرر ولهم شرع منزل من حيث لا يعلمون.

٣٦ ـ **تجلي نور الإيمان:** الإيمان نور شعشعاني ممزوج بنور الإسلام فإنه ليس له بوحدته استقلال فامتزج بنور الإسلام أعطى الكشف والمعاينة والمطالعة فعلم من الغيوب على قدره حتى يرتقي إلى مقام الإحسان وهو حضرة الأنوار.

٣٧ ـ **تجلي معارج الأرواح:** للأرواح الإنسانية إذا صفت وزكت معارج في العالم العلوي المفارق وغير المفارق فينظر مناظر الروحانيات المفارقة فترى مواقع نظرهم في أرواح الأفلاك ودورانها بها فينزل مع حكم الأدوار وترسل طرفها في رقائق التنزيلات حتى ترى مساقط نجومها في قلوب العباد فتعرف ما تحويه صدورهم وما تنطوي عليه ضمائرهم وما تدل عليه حركاتهم فطرق علم الغيب كثيرة.

٣٨ ـ **تجلي ما تعطيه الشرائع:** تنزلت الشرائع على قدر أسرار الخليقة إلا أن الشريعة تنزلت عيوناً تقوم كل عين بكثير من أسرار الخليقة فإذا كان عين الواحدة منها أو الاثنين أدرك أسرار الخليقة في النوم وإذا انضافت العيون بعضها إلى بعض أدركها في اليقظة وهذا الإدراك أحد الأركان الثلاثة التي يجتمع فيها الرسول والولي والإدراك لها على الحقيقة للرسول من كونه ولياً لا من كونه رسولاً فهو الولاية ولهذا وقعت المشاركة من عمل بما

علم ورثه الله علم ما لم يعلم واتقوا الله ويعلمكم الله.

٣٩ ـ تجلي الحد: إذا توجهت الأسرار نحو قارئها بفناء وبقاء وجمع وفرق سقطت عليها أنوار الحضرة الإلهية من حيثها لا من حيث الذات فأشرقت أرض النفوس بين يديه فالتفت فعلم ما أدركه بصره وأخبر بالغيوب وبالسرائر وبما تكنه الضمائر وما يجري في الليل والنهار.

٤٠ ـ تجلي الظنون: ظنون الولي مصيبة فإنه كشف له من خلف حجاب الحسد فيجد الشيء من نفسه ولا يعرف من أين جاء ويعرف مقامه فيعرف أن ذلك لغيره فينطق به فيكون حال الغير فهذا ظن عندنا وفي هذا المقام أيضاً يكون الأكابر منا وليس بظن في حقهم وإنما يجري الله على لسانه ما هو الحاضر عليه من الحال فيقول الحاضر قد تكلم الشيخ على خاطري والشيخ ليس مع الخاطر حتى لو قيل له ما في ضمير هذا الشخص ما عرف، سئل أبو السعود البغدادي عن هذا المقام فقال لله قوم يتكلمون على الخاطر وما هم مع الخاطر وأما صاحب الظن فلولا السكون الذي يجد عنده بلا تردد ما تكلم به وهذا مقام عيٍّ على الأولياء وحصرهم فما ظنك بفهمهم ومن هنا ينتقلون إلى تلقي الأقدار قبل نزولها على أن لها بطأ في النزول يدور القضاء في الجو في مقعر فلك القمر إلى الأرض ثلاث سنين وحينئذ ينزل ويعرفون الأولياء ذلك بحالة تسميها القوم فهم الفهم ومعنى فهم الفهم لفهمهم الأعمال أولاً ثم يفصلون بقوة إحدى ذلك الأعمال فتلك القوة فهم الفهم.

٤١ ـ تجلي المراقبة: امتثال الأمر والنهي ودوام مراقبة السر تطلعك على معرفة ذلك وما يقتضيه مقامك فإذا رأى من هذه حالة ما لا يقتضيه مقامه عرف أنه لغيره لا محالة بهذه الثلاثة الأركان هي التي تعطي أوائل تجليات غيوب الكون.

٤٢ ـ تجلي القدرة: إذا اجتمعت الإرادة من البعد باستبقاء شروطها من جنس المعاملة مع الجود الإلهي تعالى في برزخ من البرازخ نطق صاحبها بضرب من ضروب الغيوب.

٤٣ ـ تجلي القلب: الجهل حالة الوقفة عند مصادمة الأضداد على نقطة واحدة فيتمانعان فصاحبه في ظلمة أبداً فليس بصاحب علم والشك حالة الشروع في العمل على غير قدم صدق لكنه اتباع لظاهر ما هم الخلق عليه لعلهم يكونون على حق فيتهم نفسه ويتهم الخلق لكن يغلب عليه لائمته لنفسه والظن حالة التقليب فانته ينظر بعين القلب والقلب لاثبات له على حال سريع التقلب، ما سمي القلب إلا من تقلبه، والعالم حالة الصدق فإنه ينظر بعين الحق فيصيب ولا يخطىء.

٤٤ ـ تجلي النشأة: إذا استوت بنية الجسد على أحسن ترتيب وألطف مزاج ولم تكن

فيها تلك الظلمة التي تعمي البصائر ثم توجه عليه النفخ الإلهي من الروح القدسي مقارناً لطالع يقتضي العلم والصدق في الأشياء فهذا تطهير على صاحبه مجبول على الإصابة في كلامه في الغالب بل إذا تكلم على ما يجده من نصيبه من صغره لا يخطىء وإذا اخطأ فإنه يخطىء بالعرض وذلك أن يترك ما يجد من نفسه ويأخذ ما أكتسبه من خارج فقد يكون ما رءاه أو سمعه باطلاً وقد ارتسم منه في النفس صورة فيجدها فينطق بها فذلك خطوة لا غير.

فإذا انضاف إلى هذه الجبلة الفاضلة استعمال الرياضات والمجاهدات والتشوف إلى المحل الأشرف والمقام الأقدس ارتفع الروح الجزىء إلى كله الكلي فاستشرف على الغيوب من هناك وراء صور العالم كله في قوة النفس الكلية ومراتبه فيها وما حظ كل شيء من العالم ومكانه وزمانه كل ذلك بعلم واحد وفطرة واحدة فينزل إلى محل تفصيل الكون فيعرفه بالعلامات وهذا الإفراد خلقهم الله على هذا النعت عناية أزلية سبقت لهم وبهذا النوع وجدت الكهنة غير أنهم لم ينضف إلى هذه النشأة المباركة استعمال رياضة ولا تشوف فصدقت خواطره في الغالب وفي حكم النادر يخطئون وللروحانيات لأصحاب هذه النشأة تطلع كثير وتأمل لتلك المناسبة وهي اللطافة الأصلية فيمدونهم بحسب قواهم وإنما حرموا الجناب العزيز الإلهي المخصوص به الأولياء من عباد الله تعالى فهنيئا لهم.

٤٥ ـ **تجلي الخاطر**: الخواطر الأول ربانية كلها لا يخطىء القائل بها أصلاً غير أن العوارض تعرض لها في الوقت الثاني من وقت إيجادها إلى ما دونه من الأوقات فمن جاءته معرفة الخواطر الأول وليس عنده تصفية خلقية فلا رائحة له من علم الغيوب ولا يعتمد على حديث النفس فإنه أماني.

٤٦ ـ **تجلي الاطلاع**: إذا صفى العبد من كدورات البشرية وتطهر من الأدناس النفسية اطلع الحق سبحانه عليه إطلاعة يهبه فيها ما يشاء من علم الغيب بغير واسطة فينظر بذلك النور فيكون ممن يتقى ولا يتقي هو أحداً ومهما بقيت فيه بقية من أتقى الأولياء وهو الخوف من الصالحين وليس عنده هذا التجلي فيبقى فيه حظ نفسي ولقد بلغني أن الشيخ أبا الربيع الكفيف الأندلسي لما كان بمصر أنه سمع أبا عبد الله القرشي المبتلي وهو يقول: اللهم لا تفضح لنا سريرة، فقال له الشيخ يا محمد ولأي شيء تظهر لله ما لا تظهر للخلق هلا استوى سرك وعلانيتك مع الله هذا من حيث السريرة فتنبه القرشي واعترف واستعمل ما ذله عليه الشيخ وانصف فرضي الله عنهما من شيخ وتلميذ وهذا نوع عجيب من التجليات.

٤٧ ـ **تجلي تارة تارة**: إذا جمعك الحق به ففرقك عنك فكنت فعالاً وصاحب أثر ظاهر في الوجود وإذا جمعك بك فرقك عنه في مقام العبودية فهذا مقام الولاية وحضور

البساط وذلك مقام الخلافة والتحكم في الأغيار فاختر أي الجمعين شئت فجمعك بك أعلى لأنه مشهودك عيباً وجمعك به غيبته عنك بظهوره منك وهذه غيبة غاية الوصلة والاتصال الذي ليق بالجناب الأقدس وجناب اللطيفة الإنسانية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ [الفتح: ١٠] أنهم ليبايعون الله دونك فاعتبر.

٤٨ ـ **تجلي الوصية:** أوصيك في هذا التجلي بالعلم وتحفظ من لذات الأحوال فإنها سموم قاتلة، وحجب مانعة، فإن العلم يستعبدك له وهو المطلوب منا ويحضرك معه والحال يسودك على أبناء الجنس فيستعبدهم لك قهر الحال فتبسط لهم بنعوت الربوبية وأين أنت في ذلك الوقت مما خلقت له فالعلم أشرف مقام فلا يفوتنك.

٤٩ ـ **تجلي الأخلاق:** تتنزل الأخلاق الإلهية عليك خلقاً بعد خلق وبينهما مواقف إلهية مشهدية عينية أعطاها ذلك الخلق تمر كالبروق فلا تفوتك فإنك لا تفوتها ولا تطلبها فإنها نتائج الأوقات ومن طلب ما لا بد منه كان جاهلاً وما اتخذ الله ولياً جاهلاً.

٥٠ ـ **تجلي التوحيد:** التوحيد علم ثم حال ثم علم، فالعلم الأول توحيد الدليل وهو توحيد العامة وأعني بالعامة علماء الرسوم، وتوحيد الحال أن يكون الحق نعتك فيكون هو لا أنت في أنت ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] والعلم الثاني بعد الحال توحيد المشاهدة فترى الأشياء من حيث الوحدانية فلا ترى إلا الواحد وبتجليه في المقامات يكون الوجدان والعالم كله وجدان ينضاف بعضها إلى بعض يسمى مركباً يكون لها وجه في هذه الإضافة يسمى اشكالاً وليس لغير هذا العالم هذا المشهد.

٥١ ـ **تجلي الطبع:** قد يرجع العارف إلى الطبع في الوقت الذي يدعوه الحق منه لأنه لا يسمع من غيره إذ لا غير له نداء أصلاً وليحفظ نفسه في الرجوع لأن للطبع قهراً تقصده العادة فينبغي له أن لا يألف ما يقتضيه الطبع أصلاً وقد رأينا من هؤلاء قوماً انصرفوا من عنده على بينة منه ثم ودعهم وما ناداهم فألفوا الطبع باستمرار العادة فتولد لهم صمم من ذلك فنود وانداء الاختصاص فلم يسمعوا فنودوا من المألوفات فسمعوا فضلوا وأضلوا نعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الردة عن توحيد الفطرة.

٥٢ ـ **تجلي منك وإليك:** لله خزائن نسبية يرفع فيها توجهات عبيده المفردين فتقلب أعيانها فتعود أسرار إلهية بعين الجمع وتوجهاتها بما منهم فيردها عليهم بما إليهم ولهم خزائن فيقلبون أعيانها على صورة أخرى فيرفضونها إليه بما منهم فتقلب أعيانها على صورة عرفانية فيرسلونها بما إليهم فينقلبون عنها في صورة أخرى بما منهم هكذا قلباً لا يتناهى في الصورة والعين واحدة فإليهم عرفان ومنهم أعمال.

٥٣ ـ تجلي الحق والأمر: لله رجال كشف لهم عن قلوبهم فلاحظوا جلاله المطلق فاعطاهم بذاته ما تستحقه من الآداب والإجلال فهم القائمون بحق الله لا بأمره وهو مقام جليل لا يناله إلا الأفراد من الرجال وهو مقام أرواح الجمادات ومن هذا المقام تدكدك الجبل فصعق موسى عليه السلام ولم يفتقر في ذلك إلى الأمر بالتدكدك والصعق فهؤلاء خصائص الله قاموا بعبادة الله على حق الله وهم الخارجون عن الأمر ولله عبيد قائمون بأمر الله كالملائكة المسخرة الذين يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وكالمؤمنين الذين ما حصل لهم هذا المقام فهم القائمون بأمر الله وهم القائمون بحقوق العبودية وهؤلائك القائمون بحقوق الربوبية فهؤلاء محتاجون إلى أمر يصرفهم وهؤلاء ينصرفون بالذات بصرف الخاصية.

٥٤ ـ تجلي الماظرة: لله عبيد أحضرهم الحق تعالى فيه ثم أزالهم بما أحضرهم فزالوا للذين أحضرهم فكان الحضور عين الغيبة، والغيبة عين الحضور، والبعد عين القرب، وعين البعد وهو مقام إيجاد الأحوال فاجتمعت بالجنيد في هذا المقام وقال لي المعنى واحد فقلت له لا ترسله بل من وجوه فإن الإطلاق فيما لا يصح الإطلاق فيه يناقض الحقائق وقال غيبة شهوده وشهوده غيبه فقلت له الشاهد شاهداً بدأ وغيبته إضافة والغيب غيب لا شهود فيه لا تدركه الأبصار فالغائب المشهود من غيبة إضافة فانصرف وهو يقول الغيب غائب في الغيب وكنت في قوت اجتماعي به في هذا المقام قريب عهد بسقيط الرفرف أين ساقط العرش في بيت من بيوت الله عز وجل.

٥٥ ـ تجلي لا يعلم التوحيد: يا طالب معرفة توحيد خالقه كيف لك بذلك وأنت في المرتبة الثانية من الوجود وأنى للاثنين بمعرفة الواحد بوجودها وإن عدمت فيبقى الواحد يعرف نفسه كيف لك بمعرفة التوحيد وأنت ما صدرت عن الواحد من حيث وحدانيته وإنما صدرت عنه من حيث نسبة ما ومن كان أصل وجوده على هذا النحو من حيث هو ومن حيث موجده فأنى له بذوق التوحيد لا تغرنك وحدانية خاصيتك فإنها دليل على توحيد الفعل جل معنى التوحيد عن أن يعرفه غيره فما لنا سوى التجريد وهو المعبر عنه عند أهل الطريقة بالتوحيد وفي هذا التجلي رأيت النفزي رحمه الله.

٥٦ ـ تجلي ثقل التوحيد: الموحد من جميع الوجوه لا يصح أن يكون خليفة فإن الخليفة مأمون بحمل أثقال المملكة كلها والتوحيد يفرده إليه ولا يترك فيه متسعاً لغيره قلت للشبلي في هذا التجلي يا شبلي التوحيد يجمع والخلافة تفرق فالموحد لا يكون خليفة مع حضوره في توحيده فقال لي هو المذهب فأي القائمين أتم؟ قلت الخليفة مفطر في الخلافة والتوحيد الأصل قال لي وهل لذلك علامة؟ قلت نعم فقال لي وما هي؟ قلت له قل فقد

قلت فقال أن لا يعلم شيئاً ولا يريد شيئاً ولا يقدر على شيء حتى لو سئل عن التفرقة بين يده ورجله لم يدر ولو سئل عن أكلة وهو يأكل لم يدر أنه أكل وحتى لو أراد أن يرفع لقمة لقمة لم يستطع ذلك لوهنه وعدم قدرته فقبلته وانصرفت.

٥٧ ـ تجلي العلة: رأيت الحلاج في هذا التجلي فقلت له يا حلاج هل تصح عندك علته له؟ وأشرت فتبسم وقال لي تريد قول القائل يا علة العلل ويا قديماً لم تزل، قلت له نعم قال لي هذه قولة جاهل، أعلم أن الله يخلق العلل وليس بعلة كيف يقبل العلية من كان ولا شيء وأوجد لا من شيء وهو الآن كما كان ولا شيء جل وتعالى لو كان علة لارتبط ولو ارتبط لم يصح له الكمال تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً قلت له هكذا أعرفه قال لي هكذا فينبغي أن يعرف فأثبت قلت له لم تركت بيتك يخرب؟ فتبسم وقال لما استطالت عليه أيدي الأكوان حين أخليته فأفنيت ثم أفنيت ثم أفنيت وخلفت هارون في قومي فاستضعفوه لغيبتي فأجمعوا على تخريبه فلما هدوا من قواعده ما هدوا رددت إليه بعد الفناء فأشرقت عليه وقد خلت به المثلات فأنفت نفسي أن أعمر بيتاً تحكمت فيه يد الأكوان فقبضت قبضي عنه فقيل مات الحلاج والحلاج ما مات ولكن البيت خرب والساكن ارتحل فقلت له عندي ما تكون به مدحوض الحجة فأطرق وقال: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦] لا تتعرض فالحق بيدك وذلك غاية وسعي فتركته وانصرفت.

٥٨ ـ تجلي بحر التوحيد: التوحيد لجة وساحل فالساحل ينقال واللجة لا تنقال والساحل يعلم واللجة تذاق وقفت على ساحل هذه اللجة ورميت ثوبي وتوسطتها فاختلفت على الأمواج بالتقابل فمنعتني من السباحة فبقيت واقفاً بها لا بنفسي فرأيت الجنيد فعانقته وقبلته فرحب بي وسهل فقلت له متى عهدك بك؟ فقال لي مذ توسطت هذه اللجة نسيتني فنسيت الأمد فعانقني وعانقته وغرقنا فمتنا موت الأبد فلا نرجو حياة ولا نشوراً.

٥٩ ـ تجلي سريان التوحيد: رأيت ذا النون المصري في هذا التجلي وكان من أطرف الناس فقلت له يا ذا النون عجبت من قولك وقول من قال بقولك أن الحق بخلاف ما يتصور ويتمثل ويتخيل ثم غشي عليَّ ثم أفقت وأنا أرعد ثم زفرت وقلت كيف يخلي الكون عنه والكون لا يقوم إلا به كيف يكون عين الكون وقد كان ولا كون يا حبيبي يا ذا النون وقبلته وقلت أنا الشفيق عليك لا تجعل معبودك عين ما تصورته منه ولا تحجبنك الحيرة عن الحيرة وقل ما قال فنفى وأثبت ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ليس هو عين ما تصور ولا يخلو ما تصور عنه فقال ذو النون هذا علم فأتني وأنا حبيس والآن قد سرح عني فمن لي به وقد قبضت على ما قبضت فقلت يا ذا النون ما أريدك هكذا مولانا وسيدنا يقول ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] والعلم لا يتقيد بوقت ولا

مكان ولا بنشأة ولا بحالة ولا بمقام فقال لي جزاك الله خيراً، قد تبين لي ما لم يكن عندي وتجلت به ذاتي وفتح لي باب الترقي بعد الموت وما كان عندي منه خبر فجزاك الله خيراً.

٦٠ - **تجلي جمع التوحيد:** جمع الأشياء به جمع عين التوحيد ألا ترى الأعداد هل يجمعها إلا الواحد فإن كنت من أهل النظر فلا تنظر في البراهين إلا بآحادها ولا تنظر فيها إلا بالواحد منك وإن كنت من أهل المساحات والمعبر فليكن هو بصرك كما كان نظرك فيكون التوحيد يعرف بالتوحيد فلا يعرف الشيء إلا بنفسه.

٦١ - **تجلي تفرقة التوحيد:** إذا تفرقت الأشياء تمايزت ولا تتمايز إلا بخواصها وخاصية كل شيء أحديته فبالواحد تجتمع الأشياء وبه تفترق.

٦٢ - **تجلي جمعية التوحيد:** كل شيء فيه كل شيء وإن لم تعرف هذا فإن التوحيد لا تعرفه ولولا ما في الواحد عين الاثنين والثلاثة والأربعة إلى ما لا يتناهى ما صح أن يوحد به أو يكون عينها وهذا مثال على التقريب فافهمه.

٦٣ - **تجلي توحيد الفناء:** التوحيد فناؤك عنك وعنه وعن الكون وعن الفناء فابحث به فإن كل ما سوى الحق مائل ولا يقيمه إلا هو ولا إقامة إلا بالتوحيد فمن أقام فهو صاحب التوحيد أي واحد قبل الاثنين فهو مائل.

٦٤ - **تجلي توحيد الخروج:** اخرج عن السوى تعثر على وجه التوحيد ولا تقل كيف فإن التوحيد يناقض الكيف وينافيه فاخرج تجد.

٦٥ - **تجلي التوحيد:** التوحيد أن يكون هو الناظر وهو المنظور لا كمن قال:

إذا ما تجلى لي فكلي نواظر وإن هو ناجاني فكلي مسامع

فإذا انكشفت فيما ظهر وظهر فيما به انكشف فذلك مقام التوحيد وهذه زمزمة لطيفة تذيب الفؤاد رأيت في هذا التجلي أخانا الخراز رحمه الله فقلت له هذا نهايتك في التوحيد أو هذا نهاية التوحيد فقال هذا نهاية التوحيد فقبلته وقلت له يا أبا سعيد تقدمتمونا بالزمان وتقدمناكم بما ترى كيف تفرق يا أبا سعيد في الجواب بين نهايتك في التوحيد ونهاية التوحيد والعين العين ولا مفاضلة في التوحيد، التوحيد لا يكون بالنسبة هو عين النسبة فخجل فأنسته وانصرفت.

٦٦ - **تجلي توحيد الربوبية:** رأيت الجنيد في هذا التجلي فقلت يا أبا القاسم كيف تقول في التوحيد يتميز العبد من الرب وأين تكون أنت عند هذا التمييز لا يصح أن تكون عبداً ولا أن تكون رباً فلا بد أن تكون في بينونة تقتضي الاستشراف والعلم بالمقامين مع

تجردك عنهما حتى تراهما فخجل وأطرق فقلت له لا تطرق نعم السلف كنتم ونعم الخلف كنا، إلحظ الألوهية من هناك تعرف ما أقول للربوبية توحيد واللاألوهية توحيد يا أبا القاسم قيد توحيدك ولا تطلق فإن لكل اسم توحيد أو جمعاً فقال لي كيف بالتلافي؟ وقد خرج منا من خرج ونقل ما نقل فقلت له لا تخف من ترك مثلي بعده فما فقد أنا النائب وأنت أخي فقبلته قبلة فعلم ما لم يكن يعلم وانصرفت.

٦٧ ـ تجلي ريّ التوحيد: لما غرقنا مع الجنيد في لجة التوحيد ومتنا لما شربنا فوق الطاقة وجدنا عنده شخصاً كريماً فسلمنا عليه وسألنا عنه فقيل لنا هو يوسف بن الحسين وكنت قد سمعت به فبادرت إليه وقبلته وكان عطشاناً للتوحيد فروي فقلت له أقبلك أخرى قال رويت فقلت له وأين قولك لا يروى طالب التوحيد إلا بالحق وقد يروى الدون بما يسقيه من هو أعلى منه ولاريّ لأحد فاعلم، فتنبه يوسف وهفا إليّ فاحتضنته ونصبت له معراج الترقي فيه الذي لا يعرفه كل عارف المعراج إليه ومنه حظهم لا غير، وأما نحن ومن شاهد ما شاهدنا فمعارجنا ثلاثه إليه ومنه وفيه ثم يرجع عندنا واحداً وهو فيه فإن إليه فيه ومنه فيه فعين إليه ومنه فيه فماثم إلا فيه ولا يعرج فيه إلا به فهؤلاء أنت فتحقق هذا التجلي يا سامع الخطاب.

٦٨ ـ تجلي من تجليات المعرفة: رأيت ابن عطاء في هذا التجلي فقلت يا ابن عطاء إن غاص رجل جملك أجللت الله قد أجله معك الجمل فأين إجلالك بماذا تميزت عن جملك هل كان الرجل ممن الجمل تطلب في غوصه سوى ربه قال ابن عطاء لذلك قلت جل الله قلت له فإن الجمل أعرف بالله منك، فإنه أجله من أجلالك كما يطلبه الرأس في الفوق يطلبه الرجل في التحت فما بعدي الرجل ما يعطيه حقيقته يا ابن عطاء ما هذا منك بجميل تقول أمامنا رسول الله ﷺ لو دليتم بحبل لوقع على الله فكان الجمل أعرف بالله منك هلا سلمت لكل طالب ربه صورة طلبه كما سلم لك تب إلى الله يا ابن عطاء فإن جملك أستاذك فقال الإقالة فقلت له أرفع الهمة فقال مضى زمان رفع الهمم فقلت له للهمم رفع بالزمان وبغير الزمان زال الزمان فلا زمان أرفع الهمة في لا زمان تنل ما نبهتك عليه فالترقي دائم أبداً فتنبه ابن عطاء وقال بورك فيك من أستاذ ثم فتح هذا الباب فترقى فشاهد فحصل في ميزاني فأقر لي وانصرفت.

٦٩ ـ تجلي النور الأحمر: سريت في النور الأحمر الشعشعاني وفي صحبتي إبراهيم الخواص فتنازعنا الحديث فيما يليق بهذا التجلي وما تعطيه حقيقته فما زلنا على تلك الحال فإذا بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ماراً في هذا النور مسرعاً فأمسكته فالتفت إليَّ فقلت له هو هذا؟ فقال هو هذا وما هو هذا؟ كما أنا وما أنا وأنت وما أنت قلت فثم ضد؟ قال لا

قلت والعين واحدة؟ قال نعم قلت عجب قال هو عين العجب فما عندك؟ قلت ما عندي عند أنا عين العين، قال فأنت أخي قلت فواخيته قلت أين أبو بكر؟ قال أمام، قلت أريد اللحاق به حتى أسأله عن هذا الأمر كما سألتك قال انظره في النور الأبيض خلف سرادق الغيب فتركته وانصرفت.

٧٠ - **تجلي النور الأبيض**: دخلت في النور الأبيض خلف سرادق الغيب فألقيت أبا بكر الصديق رضي الله عنه على رأس الدرجة مستنداً ناظراً إلى الغرب عليه حلة من الذهب الأبهى له شعاع يأخذ الأبصار قد اكتنفه النور ضارباً بذقنه نحو مقعده ساكتاً لا يتكلم ولا يتحرك كأنه المبهوت فناديته بمرتبتي ليعرفني فإذا هو أعرف بي مني بنفسي فرفع رأسه إليَّ قلت كيف الأمر؟ قال هوذا تنظرني قلت له إن علياً قال كذا وكذا قال صدق علي وصدقت أنا وصدقت أنت قلت فما أفعل؟ قال ما قال لك رسول الله ﷺ قلت هو مقامك قال هو مقامه ﷺ قد وهبه لك قال قد وهبته لك قلت هو بيدك قال خذه فقد وهبته لك.

٧١ - **تجلي النور الأخضر**: ثم نظرت إلى تجلي آخر في النور الأخضر خلف سرادق الحق فإذا بعمر بن الخطاب، قلت يا عمر: قال لبيك، قلت كيف الأمر؟ قال هوذا يقول لي كيف الأمر؟ فذكر مقالة أبي بكر وعلي رضي الله عنهما وذكرت له من بعض ما كان بيني وبين رسول الله ﷺ فقال خذ المقام قلت هو بيدك قال قد وهبته لك قلت يا عجباً قال لا تعجب فالفضل عظيم ألست الصهر المكرم خذ النور المحدود فقد جاء الشاهد انصب المعراج وجه اليدين.

٧٢ - **تجلي الشجرة**: نصب المعراج ورقيت فيه مملكة النور الممدود وجعلت قلوب المؤمنين بين يدي فقيل لي أشعلها نوراً فإن ظلام الكفر قد اكفهر ولا ينفره سوى هذا النور فأخذني هيمان في المعراج.

٧٣ - **تجلي توحيد الاستحقاق**: توحيد استحقاق الحق لا يعرفه سوى الحق فإذا وحدناه فإنما نوحده بتوحيد الرضا ولسانه فيقع منا بذلك فاحاً سلطان توحيد الاستحقاق لم يكن هناك فكان التوحيد ينبعث عنا ويجري منا من غير اختيار ولاهم ولا علم ولا عين ولا شيء.

٧٤ - **تجلي نور الغيب**: كنا في نور الغيب فرأينا سهل بن عبد الله التستري فقلت له كم أنوار المعرفة يا سهل؟ فقال نوران. نور عقل ونور إيمان، قلت ما مدرك نور العقل وما مدرك نور الإيمان؟ فقال مدرك نور العقل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ومدرك نور الإيمان للذات بلا حد قلت فأراك تقول بالحجاب قال نعم قلت يا سهل حددته من حيث لا

شعر لهذا سجد قلبك من أول قدم وقع الغلط قال قل قلت حتى تبرك بين يدي فجثا فقلت يا سهل مثلك من يسأل عن التوحيد فيجيب وهل الجواب عنه إلا السكوت تنبه يا سهل ففني ثم رجع فوجد الأمر على ما أخبرناه فقلت يا سهل أين أنا منك فقال أنت الإمام في علم التوحيد فقد علمت ما لم أكن أعلم في هذا المقام وأنزلته إلى جنب النوري في علم التوحيد وواخيت بينه وبين ذي النون المصري وانصرفت.

٧٥ ـ **تجلي من تجليات التوحيد:** نصب كرسي في بيت من بيوت المعرفة بالتوحيد وظهرت الألوهية مستوية على ذلك الكرسي وأنا واقف وعلى يميني رجل عليه ثلاثة أثواب ثوب لا يرى وهو الذي يلي بدنه وثوب ذاتي له وثوب معار عليه فسألته يا هذا الرجل من أنت؟ فقال سل منصوراً فإذا بمنصور خلفه فقلت يا أبا عبد الله من هذا فقال المرتعش فقلت أراه من اسمه مضطراً لا مختاراً فقال المرتعش بقيت على الأصل والمختار مدع ولا اختار فقلت على ما بينت توحيدك؟ قال ثلاث قواعد قلت توحيد على ثلاث قواعد ليس بتوحيد فخجل فقلت له لا تخجل ما هي قال قصمت ظهري قلت أين أنت من سهل والجنيد وغيرهما وقد شهدوا بكما لي فقال مجيباً بقواعد توحيده.

رب وفـــرد ونـــفـــيـــي ضـــد　　قـلـت لـه لـيـس ذلـك عـنـدي
فـقـال مـا عـنـدكـم فـقـلـنـا　　وجـود فـقـدي وفـقـد وجـدي
تـوحـيـد حـقـي بـتـرك حـقـي　　ولـيـس حـقـي سـواي وحـدي

فقال ألحقني بمن تقدم قلت نعم وانصرفت وهو يقول.

يـا قـلـب سـمـعـاً لـه وطـوعـاً　　قـد جـاء بـالـبـيـنـات بـعـد

فالتفت إليه وقلت:

ظـهـرت فـي بـرزخ غـريـب　　فـالـرب ربـي والـعـبـد عـبـدي

٧٦ ـ **تجلي العزة:** إن قيل لك بماذا وجدت الحق فقل لقبوله الضدين معاً اللذين يصح أن ينسبا إليه كالأول والآخر والظاهر والباطن والاستواء والنزول والمعية وما جاء من ذلك فإن قيل لك ما معنى قبول الضدين؟ فقل ما بين كون ينعت أو يوصف بأمر إلا وهو مسلوب من ضد ذلك الأمر عندما ينعت به من ذلك الوجه وهذا الأمر لا يصح في نعت الحق خصوصاً إذ ذاته لا تشبه الذوات فالحكم عليه لا يشبه الأحكام وهذا وراء طور العقل فإن العقل لا يدري ما أقول وربما يقال لكن هذا يخيله العقل فقل الشأن هنا إذا صح أن يكون الحق تعالى من مدركات العقول حينئذ تمضي عليه أحكامها لئن لم تنته لتشقين شقاء الأبد ما لك وللحق أية مناسبة بينك وبينه في أي وجه تجتمع أترك الحق للحق فلا يعرف

الحق إلا الحق يقول الحق وعزة الحق لا عرفت نفسك حتى أجليك لك وأشهدك إياك فكيف تعرفني تأدب فما هلك امرؤ عرف قدره اقتد بالمهتدين من عبادي.

٧٧ ـ **تجلي النصيحة**: لا تدخل داراً لا تعرفها فما من دار إلا وفيها مهاوٍ ومهالك فمن دخل داراً لا يعرفها فما أسرع ما يهلك لا يعرف الدار إلا بانيها فإنه يعرف ما أودع فيها بناك الحق داراً له لتعمرها به ما أنت بنيتها ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الواقعة: ٥٨، ٥٩] فلا تدخل ما لم يبن فإنك لا تدري في أي مهلك تهلك ولا في أي مهواة تهوى قف عند باب دارك حتى يأخذ الحق بيدك ويمشيك فيك يا سخيف العقل أبشرك الفكر تقتنص طيراً أبخيول الطلب تدرك غزالة أبسهم الجهد ترمي صيده مالك يا غافل إرم صيدك بسهمك فإن أصبته أصبته ولا تصبه أبداً يا عاجزاً عن نفسه كيف لك به ما ظفرت يداك بسوى التعب.

٧٨ ـ **تجلي لا يغرنك**: يا مسكين مالك يضرب لك المثل بعد المثل ولا تفكر كم تخبط في الظلمة وتحسب أنك في النور كم تعول أنا صاحب الدليل وهو عين الدليل متى صحبك تفتري عليه لا يغرنك اتساع أرضه كلها شوك ولا نعل لك كم مات فيها من أمثالك كم خرقت من نعال الرجال فوقفوا فلم يتقدموا ولم يتأخروا فماتوا جوعاً وعطشاً.

٧٩ ـ **تجلي عمل في غير معمل**: كم ماش على الأرض والأرض تلعنه كم ساجد عليها وهي لا تقبله كم داع لا يتعدى كلامه لسانه ولا خاطره محله كم من ولي حبيب في البيع والكنائس كم من عدو بغيض في الصلوات والمساجد يعمل هذا في حق هذا وهو يحسب أنه يعمل لنفسه حقت الكلمة ووقعت الحكمة ونفذ الأمر فلا نقص ولا مزيد بالنرد كان اللعب لا بالشطرنج قاصمة الظهر وقارعة الدهر حكم نفذ لاراد لأمره ولا معقب لحكمه انقطعت الرقاب سقط في الأيدي تلاشت الأعمال لطاحت المعارف أهلك الكون السلخ والخلع يسلخ من هذا ويخلع على هذا.

٨٠ ـ **تجلي الكمال**: اسمع يا حبيبي أنت العين المقصود من الكون أنت نقطة الدائرة ومحبطها أنت مركبها وبسيطها، أنت الأمر المنزل بين السماء والأرض ما خلقت لك الإدراكات إلا لتدركني بها فإذا أدركتني أدركت نفسك لا تطمع أن تدركني بإدراكك نفسك بعيني تراني ونفسك لا بعين نفسك تراني حبيبي كم أناديك فلا تسمع كم أتراءى لك فلا تبصر كم أندرج لك في الروائح فلا تشم وفي الطعوم فلا تطعم لي ذوقاً ما لك لا تلمسني في الملموسات؟ ما لك لا تدركني في المشمومات؟ ما لك لا تبصرني؟ ما لك لا تسمعني؟ ما لك ما لك ما لك؟ أنا ألذّ لك من كل ملذوذ، أنا اشتهي لك من كل مشتهى، أنا أحسن لك من كل حسن، أنا الجميل، أنا المليح حبنّي حبنّي لا تحب غيري، اعشقني، هَم فيَّ لا

تهم في سواي، ضمني قبلني ما تجد وصولاً مثلي كل يريدك له وأنا أريدك لك وأنت تنفر مني يا حبيبي ما تنصفني إن تقربت إليَّ تقربت إليك أضعاف ما تقربت به إليَّ، أنا أقرب إليك من نفسك، ونفسك من يفعل معك ذلك غيري من المخلوقين حبيبي أغار عليك منك لا أحب أن أراك عند الغير ولا عندك كن عندي بي عندك كما أنت عندي وأنت لا تشعر حبيبي الوصال الوصال.

لو وجدنا إلى الفراق سبيلاً لأذقنا الفراق طعم الفراق

حبيبي تعال يدي ويدك تدخل على الحق تعالى ليحكم بيننا حكم الأبد، حبيبي من الخصام، ما يكون ألذّ الملذوذات وهو خصام الأحباب فتقع اللذة بالمحاورة قال الشاعر:

ولقد هممت بقتلها من حبها كيما تكون خصيمتي في المحشر

قل هل عندك كم علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون ولو لم يكن من فصل الخصام إلا الوقوف بين يدي الحاكم فما ألذّها من وقفة مشاهدة محبوب يا جان يا جان.

٨١ ـ **تجلي خلوص المحبة:** حبيبي قرة عيني أنت مني بحيث أنا كريمي قسيمي تعالى الله لا بل أنت ذاتي هذه يدي ويدك أدخل بنا إلى حضرة الحبيب الحق بصورة الاتحاد حتى لا نمتاز فنكون في العين واحداً ما ألطفه من معنى ما أرقه من مزج.

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها وتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

عسى تعطل العشار وتمحى الآثار وتخسف الأقمار وتكور شمس النهار وتنطمس نجوم الأنوار.

فنفني ثم نفني ثم نفني كما يفنى الفناء بلا فناء
ونبقى ثم نبقى ثم نبقى كما يبقى البقاء بلا بقاء

٨٢ ـ **تجلي نعت الولي:** حبيبي ولي الله مثل الأرض مدت فألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت انشقت سماء العارفين فذهب أمرها فبقوا بلا أمر فعاشوا عيش الأبد لم تتعلق بهم حمم الأكوان فيشوش عليهم حالهم نسوا في جنب الله فلا يعرفون طوبى لهم وحسن مآب ما أحسن من مآب لم يعرف لهم غني فيقال لهم أعطونا ولا يعلم لهم جاه فيقال لهم ادعوا لنا أخفاهم الحق في خلقه بأن أقامهم في صورة الوقت فاندرجوا حتى درجوا سائلين ما رووا في أوقاتهم هم المجهولون في الدنيا والآخرة المسودة وجوههم عند العالمين لشدة القرب وإسقاط التكليف لا في الدنيا يحكمون ولا في الآخرة يشفعون صم

بكم عمي فهم لا يعقلون، صم بكم عمي فهم لا يرجعون.

٨٣ ـ تجلي بأي عين تراه:

إذا تجلى الحبيب ... بأي عين تراه
بعينه لا بعيني ... فما يراه سواه

من زعم أنه يدرك على الحقيقة فقد جعل وإنما يدرك المحدث من حيث نسبته إليه، المحب يرى محبوبه بعين محبوبه ولو رآه بعينه ما كان محباً، والمحبوب يرى محبه بعين المحب لا بعينه وربما يقال في هذا المقام.

فكان عيني فكنت عينه ... وكان كوني فكنت كونه
يا عين عيني يا كون كوني ... الكون كونه والعين عينه

٨٤ ـ ومن تجليات الحقيقة:

إذا ما بدا لي تعاظمته ... وإن غاب عني فإني العظيم
فلست الحميم ولست النديم ... ولكنني إن نظرت القسيم
فلا تحجبن بعين الحديث ... فإن الحديث بعين القديم

حبيبي قدمك أظهر حدثي أو حدثي أظهر قدمك لا أدري عرفني إذا كنت بك حبيبي لا أعرف فإن ماثم من أعرف وإذا كنت بي فلا أعرف فإن حقيقتي ألا تعرف فإذ ولا بد من الجهل فكن عيني حتى أريك بك فسبحان من يرى ولا يعلم.

٨٥ ـ تجلي تصحيح المحبة: من صحت معرفته صح توحيده ومن صح توحيده صحت محبته فالمعرفة لك والتوحيد له والمحبة علاقة بينك وبينه بها تقع المنازلة بين العبد والرب.

٨٦ ـ تجلي المعاملة: قلت رأيت إخواننا يأمرون المريد بالتحول عن الأماكن التي وقعت لهم فيها المخالفة فقيل لي لا تقل بقولهم قل للعصاة يطيعون الله على الأرض التي وقعت لهم فيها المخالفة وفي الثوب وفي الزمان فكما يشهد عليهم يشهد لهم ثم بعد ذلك يتحولون إن شاؤا وأتبع السيئة الحسنة تمحها.

٨٧ ـ تجلي كيف الراحة:

إذا قلت يا الله قال لما تدعو ... وإن أنا لم أدع يقول ألا تدعو
فقد فاز باللذات من كان أخرساً ... وخصص بالراحات مع الإله سمع

٨٨ ـ تجلي حكم المعدوم:

ثــلاثـــة مـــا لـــهـــا كـــان ... الـســلــب والـحــال والــزمــان
فــلــلــعــيــن لا وهــي حــاكــمــات ... قــال بــه الــعــقــل والــلــســان

٨٩ ـ تجلي الواحد لنفسه:

لــولاه مــا كــان لــي وجــود ... نــعــم ولا كــان لــي شــهــود
لــكــن أنــا فــي الــوجــود فــرد ... وأنــت فــي عــالــمــي فــريــد
والــفــرد فــي الــفــرد كــون عــيــنــي ... أو كــونــه الــواحــد الــمــجــيــد

٩٠ ـ تجلي العلامة: علامة من عرف الله حقيقة المعرفة أن يطلع على سره فلا يجد فيه علماً به فذلك الكامل الذي لا معرفة وراءها وفضل رجال الله بعضهم بعضاً باستصحاب هذا الأمر على السر وفي هذا التجلي رأيت أبا بكر بن جحدر.

٩١ ـ تجلي من أنت ومن هو:

لــســت أنــا ولــســت هــو ... فــمــن أنــا ومــن هــو
فــيــا لــيــتــه قــل أنــت أنــا ... ويــا أنــا هــل أنــت هــو
لا وأنــا مــا هــو أنــا ... ولا هــو مــا هــو هــو
لــو كــان هــو مــا نــظــرت ... أبــصــارنــا بــه لــه
مــا فــي الــوجــود غــيــرنــا ... أنــا وهــو وهــو
فــمــن لــنــا بــنــا لــنــا ... كــمــا لــه بــه لــه

٩٢ ـ تجلي الكلام: إذ سمع الولي موقع الخطاب الإلهي من الجانب الغربي فما بقي له رسم لكن بقي له اسم كما بقي للعدم اسم بغير مسمى له وجود ثم أفنى الاسم عن الاسم فلم يكن للاسم حديث من الاسم صنعة مليحة ثم خاطب نفسه بنفسه فكان متكلماً سامعاً والآثار تظهر في الولي.

فــآثــار تــلــوح عــلــى ولــي ... ظــهــور الــوشــي فــي الــثــوب الــمــوشــي

كيف للمحدث بمشاهدة القديم عيناً أو خطاباً.

٩٣ ـ ومن تجليات الحيرة: كيف تريد أن تعرف بعقلك من عين مشاهدته عين كلامه وعين كلامه عين مشاهدته ومع هذا فإذا أشهدك لم يكلمك وإذا كلمك لم يشهدك بالله لا ترىٰ ما أقول لا بالله ولا أنا أدري ما أقول كيف تدري.

من يقبل الأضداد في وصفه ويقبل التشبيه في نعته
هيهات لا يعرفه غيره والفوق تحت التحت من تحته
قد فزت بالتحقيق من دركه يا عابد المصنوع من تحته
أين أنا منك وأنت الذي تخاطب الصامت من صمته

وقد قيل في هذا المعنى.

هكذا يعرف الحبيب فمن لم يعرف الله هكذا فاتركوه
خضعوا لي فمر قلبي إليهم وأتى بإبهم فما تركوه
ملكوه حتى إذا هام فيهم ملكوه وبعد ذا أهلكوه

٩٤ ـ **تجلي اللسان والسر:** للتوحيد لسان وسر فإذا أنطقك فرقك في خواص الأعيان فظهر التوحيد بالآحاد وإذا أطلعك على سر التوحيد أخرسك فجمعك عليه به فلم تر سوى الواحد بالواحد.

٩٥ ـ **تجلي الوجهين:** العبد إذا اختص كان له وجهان وجه من حيث عبوديته ووجه من حيث اختصاصه ولا يرى وجه العبودية إلا من وجه الاختصاص فكل مختص عبد وماكل عبد مختص فعين الاختصاص تجمعك وعين العبودية تفرقك فكن مختصاً تكن عبداً.

٩٦ ـ **تجلي القلب:** أول ما يقام فيه العبد إذا كان من أهل الطريق في باب الفناء والبقاء فإذا تحقق به استشرف على معرفة القلب الذي وسع الحق فإذا علم قلبه عرف أنه البيت الذي يحسن فيه السماع وهو المعبر عنه بالمكان الذي هو أحد شروط السماع وعند ذلك يحصل له علم فيسمع الحق بالحق في بيت الحق وبالسماع وقع الخروج إلى الوجود من العدم.

٩٧ ـ **تجلي خراب البيوت:**

محوتني عنك وأثبتني فيك فعين المحو عين الثبوت
عجبت منكم حين ابعدتم من جاءكم من خلف ظهر البيوت
إن صح لي الساكن يا سيدي فما أبالي من بيوت تفوت
أوهن بيت قد أبنتم لنا هذا الذي يعزى إلى العنكبوت
لا فرق عندي بينه في القوى وبين ما عاينت في الملكوت
ما قوة البيت سوى ربه ويخرب البيت إذا ما يموت

٩٨ ـ **ومن تجلى الفناء:** إذا أفناك عنك في الأشياء اشهدك إياه عيناً فإن غفلت أنك

رأى فما أفناك عنك فلا تغلط وهذا هو فناء البقاء ويكون عن حصول تعظيم في النفس.

٩٩ ـ **ومنها:** البقاء ينسبك إليه والفناء ينسبك إلى الكون فاختر لنفسك لمن شئت.

١٠٠ ـ **تجلي الرؤية:** اطلب الرؤية ولا تجزع من الصعق فإن الصعق لا يحصل إلا بعد الرؤية فقد صحت ولا بد من الإفاقة فإن العدم محال.

١٠١ ـ **تجلي الدور:** سألت كيف تصح العبودية؟ قيل بصحة التوحيد قلت وبماذا يصح التوحيد؟ قيل بصحة العبودية قلت أرى الأمر دورياً قيل فما كنت تظن؟ قلت دليل ومدلول قال ليس الأمر كذلك لا دليل ولا مدلول قلت من شأن العبد أن يفعل ما يؤمر به قيل من شأن العبد أن يسمع ما يفعل به.

١٠٢ ـ **تجلي الاستعجام:** حبيبي استعجم الأمر عن الوصف واشتغل الكل بالكل فلا فراغ حبيبي. دعينا فنزلنا فبقينا وفقدت الأحوال.

فأبدا وجود الوجد ما كان يكتم ولاحت رسوم الحق منا ومنهم

١٠٣ ـ **تجلي الحظ:** حبيبي! انظر إلى حظك منك فأنت عين الدنيا والآخرة فإن رأيتك ثم فاعلم أنك مطرود وخلف الباب طريح حظك يدركك فلا تسع له حبيبي لا تغب عنه فيفوتك غب به عنك.

صير الأعين عيناً واحداً فوجود الحق في رفع العدد

١٠٤ ـ **تجلي الأماني:** أماني النفوس تضاد الأنس بالله سبحانه لأنه لا يدرك بالأماني ولذلك قال: ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ [الحديد: ١٤] أماني النفس حديثها بما ليس عندها ولها حلاوة إذا استصحبها العبد فلن يفلح أبداً هي ممحقة الأوقات صاحبها خاسر يلذ بها زمان حديثها فإذا رجع مع نفسه لم ير في يده شيئاً حاصلاً فحظه ما قال من لا عقل له.

أماني أن تحصل تكن أحسن المنى وإلا فقد عشنا بها زمنا رغداً

حبيبي تترك الأنس بربك لمنية نفسك ما هذا منك بجميل لا يغرنك إيمانك ولا إسلامك ولا توحيدك أين ثمرته إن خرج روحك في حال أمانيك وأنت لا تشعر ما يكون حالك وأنت لا ترى بعد الموت إلا الذي مت عليه ولم يكن عندك سوى الأماني فأين التوحيد وأين الإيمان خسرت وقتك.

حالي وحالك في الرواية واحد ما القصد إلا العلم واستـ ـماله

١٠٥ ـ **تجلي التقرير:** طلب الحق منك قلبك وهبك لك كلك فطهره وحله بالحضور والمراقبة والخشية كما أشار إليك في هذا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧﴾

[المزمل: ٧] فأعطاك أربعاً وعشرين ساعة وخصص منها أوقات فرائضك ما يكون فيها نصف ساعة أبداً وقال لك اشتغل بجميع أوقاتك في مناجاتك وأكوانك وفرغ لي هذا القدر من الزمان وقد قسمته لك على خمسة أوقات حتى لا يطول عليك.

وانظر يا أخي أي عبد تكون انظر هذا اللطف العظيم من الجبار العظيم لو عكس القضية ما كنت صانعاً ثم مع هذا اللطف في التكليف أضاف إليه لطف الإمهال عند المخالفة فأمهلك ودعاك وقنع منك بأدنى خاطر وأقل لمحة بالله يا مسكين من يفعل معك ذلك غيره تبارز مثل هذا السيد الكريم، رب هذا اللطف العظيم والصنع الجميل بالمخالفات ولا تستحي لا يغرنك إمهاله فإن بطشه شديد، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] ما لك قرية سوى نفسك وإذا أخذها مثل هذا الأخذ فمن يقري ومن يتعظ، الشقي من وعظ بنفسه، وما وعظ الله أحداً بنفسه حتى وعظه بغيره من لطفه فانظر أي عبد تكون، السباق السباق في حلبة الرجال لا يغرنك من خالف فجوزي بأحسن المعارف ووقف في أحسن المواقف وتجلت له المشاهد هذا كله مكر به واستدراج من حيث لا يعلم قل له إذا احتج عليك بنفسه.

فسوف ترى إذا انجلى الغبار أفرس تحت رجلك أم حمار

١٠٦ ـ تجلي نكث المبايعة: المبايعون ثلاثة الرسل والشيوخ، الورثة والسلاطين، والمبايع على الحقيقة في هؤلاء الثلاثة واحد، وهو الله تعالى وهؤلاء الثلاثة شهود لله تعالى على بيعة هؤلاء الاتباع وعلى هؤلاء الثلاثة شروط يجمعها القائم بأمر الله وعلى الاتباع الذين بايعوهم شروط تجمعها المبايعة في ما أمروا به فأما الرسل والأشياخ فلا يأمرون بمعصية أصلاً فإن الرسل معصومون من هذا والشيوخ محفوظون.

وأما السلاطين فمن لحق منهم بالشيوخ كان محفوظاً وإلا كان مخذولاً ومع هذا لا يطاع في معصية والبيعة لازمة حتى يلقوا الله، ومن نكث من هؤلاء الأتباع فحسبه جهنم خالداً فيها لا يكلمه الله ولا ينظر إليه ولا يزكيه ولهم عذاب أليم، هذا حظه في الآخرة.

وأما في الدنيا فقد قال أبو يزيد البسطامي في حق تلميذه لما خالفه دعوا من سقط من عين الله فرئي بعد ذلك مع المخنثين وسرق فقطعت يده هذا لما نكث، أين هو ممن وفي ببيعته مثل تلميذ داود الطائي الذي قال له ألق نفسك في التنور فألقى نفسه فيه فعاد عليه برداً وسلاماً هذا نتيجة الوفاء.

١٠٧ ـ تجلي المعارضة: لا يزاحم من لا يفنى برؤيتك ولا يشغله شأن عن شأن ذاك مخصوص به من مفردات الربوبية ولا تغتر بقول عارف حين قال لا يشغله شيء عن ربه ولا

يشغله ربه عن شيء إنما أراد قوة الحضور لا المشاهدة فما أشهدك قط إلا أفناك وأبقاك له وما أبقاك لك فخذ ما لك واترك ما له.

١٠٨ ـ **تجلي فناء الجذب:** لم يفن من الأسماء ولم يبق بالله إلا المضطر ولهذا يجيبه فعلامة الاضطرار الإجابة وهذا هو فناء الجذب لأنه ما فنى فيه إلا بحظ نفسه فلما رآه زهد في حظه قيل له ارجع قال علمت الأمر كذا فالحمد لله الذي جعل حظي عين وصلي.

١٠٩ ـ **تجلي ذهاب العقل:** المعرفة الخفية أنوار تشرق فإن أخذتها العبارات فبلسان لا يعقل وخطاب لا يفهم فإذا رد يقال له ما قلت فيقال له ما ينحكي ما قلت فيقول لأنه لم يسمع فيقال له أعد فيقول حتى أعود أو يعود وعن مثل هذا يرتفع الخطاب فإنه مجنون ونعم الجنون صحة التوحيد وكتمان الأسرار وحسن الظن فيما لا يعلم من علامات من هو من أهل الله والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين تمت.

الاتحاد الكوني
في حضرة الإشهاد العيني

شعليم، بلسان التحكيم، ان انظر في د،
من يجب له التقدم ممن يجب له النظر، و
بين المكاسب والمواهب، وقلت لمن عاينت من ا،
حضرة المهيمه، وقلت لمن عاينت من الارواح المسخرة، الزموا المقام
بيت لمن عاينت من الارواح المدبرة، الزموا الهيا كل المدبره، فراح كل صنو
منزله ليشاهد منزله، وكنت قد عاينت المطوقة الورقا، وحملها الغربية العنقا، عن
في لتقسيم التنازل، اذ هلت عن المنازل، فانا علم الكون، والمخبو في أردية الصون
فتري على جماعة من العقلاء، وتعصب لأخذي عصابة من الفضلا، فنصبوا شرك
افكارهم لصيدي، واحالوا على ما مدد تهم به ليستخرجوا حدي، ولما كانت الهمم قد
ذفرت لتحصيلي في شركهم الفكري، وحصل فيها عقاب على صورتي من الموطن الوهمي
الوا هذا هو الحق المبين، ولو عرفوا ان الحق ما بان لهم ولا يبين، فان المعرفة بي وجودي
متوقفة على الوهب، مصروفة عن الكسب، فاستفزهم بشبهته الشيطان، وتخيلوا انهم
قد حلوا بالربا، وما نزلوا الا بالغيطان، واشتبه عليهم القدم بالقدم، فحكموا علي بالقدم
ان وجودي لا عن عدم، فتركتهم بشبهتهم لحما على وضم، وهكذا ينبغي فيمن اهتضم الامر
الالاهي الوهبي ان يهتضم، فانا بري مما نسبوا، وكافر بما نصبوا، فان الله جل ثناؤه
القدم، وانا اذ ذاك محكوم علي بالعدم، ثم اوجدني عن عدم لسابقة القدم، فظهر
بي، وانار بعلمه كوني، وناط بي الفقر والعجز، واماط عني الأزر والعز، فانا الذليل
الذي لا يعز، والقوي الذي لم يزل يعجز خطبة الغربية العنقا فلما فرغ العقاب
كلامه، واتى على بيان مقامه، قامت العنقا تعرب، عن وجودها وتغرب بعزة
وجودها، فقالت انا عنقا مغرب، ما زال مسكني بالمغرب، بالمقام الوسيط على
البحر المحيط، اكتنفني العجز من الجهتين، وما ظهر قط لوجودي عين، وقالت
انا الذي لا عين لي موجود، وانا الذي لا حكم لي مفقود عنقاء مغرب قد تعورف ذكرها
وبانت وجودها مسدود، ما سير الرحمن ذكري باطلا، لكن لمعنى سره المقصود
تني وجابة اسرارهم لم عرفا نها فصراطنا ممدود، والسالكون على مراتب
قلبهم من نوره التحرير، فبي تكون الحدود، وعلي توقف الوجود، يسمع
لا ارى، وليس الحديث بي حديثا يفترى، انا العربية العنقاء، وامي
العقاب المالكه، وولدي الغراب الحالكه انا عنصر النور
اقبل النور المطلق فانه ضدي، ولا اعرف
علي فهو بعيد الفهم، مقهور تحت
الكون الاعلى والاسفل

نموذج من رسالة الاتحاد الكوني

بِسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيم

وحسبنا اللّه ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلاّ باللّه العلي العظيم. الحمد للّه رب العالمين، وصلى اللّه على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، يقول عبد اللّه الفقير إلى اللّه، (محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي الأندلسي)، عفا اللّه عنه، وختم له بالحسنى، هذا كتاب كريم، وخطاب جسيم، كتبت به لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد:

من انتقاصي إلى كمالي ... من انحرافي إلى اعتدالي (١)
ومن سنائي إلى جمالي ... ومن سنائي إلى جلالي
ومن شتاتي إلى اجتماعي ... فمن صدودي إلى وصالي
ومن خسيسي إلى نفيسي ... فمن حجار إلى اللآلي
ومن شروقي إلى غروبي ... فمن نهاري إلى الليالي
ومن ضيائي إلى ظلامي ... فمن هداي إلى ضلالي
ومن حضيضي إلى استوائي ... فمن زجاج إلى العوالي
ومن دخولي إلى خروجي ... فمن محاقي إلى هلالي
ومن طِلابي إلى نفوري ... فمن جوادي إلى غزالي
ومن نسيمي إلى غصوني ... ومن غصوني إلى ظلالي
ومن ظلالي إلى نعيمي ... ومن نعيمي إلى محالي
ومن محالي إلى مثالي ... ومن مثالي إلى محالي

(١) من المنسرح، ديوان ابن عربي، ٣٤ - ٣٥.

ومن محالي إلى صحيحي ومن صحيحي إلى اعتلالي
فما أنا في الوجود غيري فما أعادي وما أوالي
وما أنادي على فؤادي من أجل رامٍ ماضي النصالِ
فإن رامي النصالِ[1] جفني إلى فؤادي بلا نبالِ
فما أحامي على مقامي وما أمالي فما أبالي
فإنني ما عشقت غيري فعين فصلي هو اتصالي
فلا تلمني على هواي فلست عن هاجري بسالي
فظاهري عاشق وسري معشوق قلبي على التوالي[2]

وإني لا أزال في هذا الكتاب أخاطُبني عني، وأرجع فيها إليّ مني، فمن سماي إلى أرضي، ومن سنتي إلى فرضي، ومن إبرامي إلى نقضي، ومن طولي إلى عرضي، ولهذا أقمت القسطاس، وراقبت الأنفاس:

فمن حسي إلى عقلي ومن عقلي إلى حسي[3]
بعلمين غريبين بلا شك ولا لبسِ
ومن نفسي إلى روحي ومن روحي إلى نفسي
بتحليل وتركيب كمثل الميت في الرمسِ
ومن حدسي إلى علمي ومن علمي إلى حدسي
فنور العلم ممدود ونور الحدس ما يمسي
ومن قدسي إلى رجسي ومن رجسي إلى قدسي
فقدسي كان في وقتي ورجسي كان في أمسي
ومن إنسي إلى جني ومن جني إلى أنسي
فجني يبتغي همي[4] وإنسي يبتغي أُنسي
ومن حبسي إلى سعتي ومن سعتي إلى حبسي
لنكر قام في نفسي على عقلي وبالعكسِ

(١) في الديوان «السهام».
(٢) لم يرد هذا البيت في الديوان.
(٣) من الهزج، ديوان ابن عربي، ٣٥ ـ ٣٦.
(٤) في الديوان «غمي».

ومن أيسي إلى ليسي   ومن ليسي إلى أيسي
بشعد فيه تأليف   كما في شته نحسي
ومن جنسي إلى ضدي   ومن ضدي إلى جنسي(١)
فلولا (باقل) ما لا   ح نور الفضل في (قُسّ)
ومن شمسي إلى بدري   ومن بدري إلى شمسي
لإظهار الخفايا في   بطون نواشيء دبس
ومن فرس إلى عرب   ومن عرب إلى فرسِ
لشرح قوام أسرار   ورمز حقائق نكس
ومن أُسي إلى فرعي   ومن فرعي إلى أُسي
لعيش دُسَّ في موتٍ   بحسٍ أو بلا حس
فلا تهتمِ يا نفسي   بقول الحاسد النكس
وقول الجاهل المغرور يا   ريحانة الأنس(٢)
فكم من جاهلٍ قد قال   في أرواحنا الخرسِ
لدى تنزيل تنزيلي   بروح النفث والحسِ
كأنس فيه شيطانٌ   يُخبطه من المسِ
فإن الناس ما زالوا   من التحقيق في لبس
فسر اللّه موجودٌ   مبين الجهر والهمس
وجود الحق عين الخلق   قبل الروح والنفس(٣)

وسميت هذه الرسالة بـ (الاتحاد الكوني في حضرة الإشهاد العيني، بمحضر الشجرة الإنسانية والطيور الأربعة الروحانية)، خاطبت بها أبا الفوارس (صخر بن سنان)، مالك أزمّة الجود والبيان، ولكل أهل العرفان. وهذه أول الرسالة، وباللّه أستعين، فهو المؤيد سبحانه وتعالى والمعين.

---

(١) لم يرد هذا البيت في الديوان.
(٢) في الديوان «النفس».
(٣) لم يرد هذا البيت في الديوان.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى اللّه على الرؤوف الرحيم، إلى الثالث والثاني، ورب المثالث والمثاني، والمشار إليه في المثاني، القاصر الفاني، والسائر الثاني، الناكص لظله، والناكس لذله، الجواد الذي لا يقبل جوده، والموجود التام الذي جهل وجوده، المنبعث من الثنتين، والمبعوث بالقوتين، معتمد الأركان، [٨٩ وجه] ومعتد الإمكان، ومستند المكان، رقيقة الآن، وحقيقة الزمان، ومنتهى الأمان، ومستوى الرحمن، ودقيقة المان، وسلطان الإنس والجان، جان بن جان، الإنسان في الإنسان، الواهب المحسان، أبو الفوارس (صخر بن سنان)، مالك أزمّة الجود والبيان، استوهب اللّه له من المواهب القدسية أسهلها وأحلاها، ومن المراتب المؤسسة أكملها وأعلاها، سلامٌ طيبٌ أثيرٌ مبارك يخص مقامكم الرفيع أتمه وأزكاه، ورحمة اللّه تعالى وبركاته ورضاه. أما بعد فإني أحمد اللّه إليّ، الذي سواني وعدّلني، وفي صورةٍ أحسن تقويمٍ ركبني، ثم عرّفني بي، وأظهرني لي، فعشقتني، فلا أحب سواي، وهُيّمت فيَّ بين بعدي وقربي، فما أخاطب إلاّ إياي، وقلت في شأني على لساني، مما أعاني من المعاني أني:

فـلـو رآنـي إذا أتـانـي ... سـراً وجـهـراً أنـا بـذاتـي[1]
وقـلـتُ أنـعـمْ فـقـال طـوعـاً ... وكـان مـنـي لـيَّ الـتـفـاتـي
فُـنـيـتُ عـنـي بـعـيـن أنـي ... وعـن عـداتـي وعـن ثـقـاتـي
وعـن وعـيـدي وعـن مـزيـدي ... وعـن نـعـيـمـي وعـن عـداتـي
وعـن شـهـيـدي وعـن شـهـودي ... وكـنـت لـي بـي نـعـم الـمـؤاتـي
فـيـا أنـا رُدّنـي بـعـيـنـي ... إلـيَّ حـتـى أرى ثـبـاتـي
فـرَدنـي بـيـن إلـيّ مـنـي ... فـلـم يـقـم بـي سـوى صـفـاتـي
فـصـال كـفـي عـلـى عـصـايَ ... وصـال عـودي عـلـى صـفـاتـي

(١) من المنسرح، ديوان ابن عربي، ٣٦ - ٣٧.

فسال نهر البروج منها عشراً وثنتين مُعلَّماتِ
فقلت لي يا أنا فزدني مني ثباتاً على ثباتي
هذي علوم الحياة لاحت على وجودي من النباتِ
فأين مسرى اللطيف مني ما أودع اللّه في الذواتِ
فزدتني ما طلبت مني فدام شوقي إلى مماتي
فصرت أشكو الغرام مني إليّ كيما تبدو سماتي
إلى جفوني من عين كوني فزاد جمعي على شتاتي
وصلتُ ذاتي وجداً بذاتي من أجل ذاتي مدى حياتي
ولم أعرّج على جفاتي وطول هجري وسيئاتي
أنا حبيبي أنا محبي أنا فتايَ أنا فتاتي

أما بعد فالكتاب إليَّ من المدينة الممكنة بالاستواء، والمعينة في المستوى، والمحصنة بالقوى، طور سينين، والبلد الأمين، المسوّى من الماء والطين، والجامع بين أحسن تقويم، وأسفل سافلين، معرّفاً إياي بما طرأ بيني وبيني، وما شاهده كوني من كوني؛ وذلك أنه لما رُفعت لنا أعلام المشاهدة، ووضعت عنا آلام المجاهدة، وصار التجاري بحكم الموافقة والمساعدة، امتطوت براق الهمة، وخرجت عن كون هذه الغمة، فوقعت في بحر الهيولى، فعاينتُ الآخرة والأولى، فقلت: تباً لمنكري الجنان، والدار الحيوان، وملاعبة الولدان، ومعانقة الحور الحسان، ولصوق الأبدان بالأبدان، من عاين الحافظ أثبت اللافظ، فإن خط الاعتدال غير ميال، وعرفت هناك أن منكري حشر الأجساد ما برحوا من الميلين، وما انفكوا من ربقة الأربعة والاثنين، ثم صحتُ واحرباه! واحر قلباه! من الكيان هربت، وها أنا فيه، فأين ما طلبت؟ فسمعت الخطاب مني، لا داخلاً فيّ ولا خارجاً عني، وهو يخبرني أني على المدرجة، فكيف تطلب الدرجة؟ أين أنت والاستواءات؟ أين أنت والاتكاءات؟ أين أنت والرفارف العُلى؟ أين أنت والأفق الأعلى؟ أين أنت وحجب البهاء؟ أين أنت والستر الأزهى؟ أين أنت والعمى؟ أين أنت وحجاب العزة الأحمى؟ أين أنت والهويات المطلقة؟ أين أنت والانيات المحققة؟ أين أنت وحضرة الإشارات؟ أين أنت والمحادثات؟ أين أنت والمسامرات؟ أين أنت والشجرة العلى؟ أين أنت والفروع الدنى؟ أين أنت والغريبة العنقاء؟ أين أنت والمطوقة الورقاء؟ أين أنت والغراب الحالك؟ أين أنت والعقاب المالك؟ يا محجوب كيف تسأل بالأين عن العين؟ وأنت [٨٩ظ] مقام لا يحتمل المين؟ فقلت أيها الزاجر! لقد أكملت، أما علمت أنك من مقامك تكلمت؟ أنت في حضرة العين، معرى عن الآن والأين، وأنا في هذه اللجة العمياء، والدلجة

السوداء، والداهية الدهياء، معدن المين والريب، ومحل النقص والعيب، وهل يصيح واحرباه! إلا أسير الكم وحبيس الحكم؟ فإن أنت أخرجتني من بين تلاطم هذه الأمواج، وأرحتني من معاناة هذا الليل الأليلِ الداج، فإني لا أفوه بطرف، ولا أعرّج على حرف، فجذبني جذبة عزيز مقتدر، وقال: إنك مغلوب فانتصر[1]، فقلت: انتصر بيدك اليمنى، من كلتا يديك يمين[2]، فإنه القوي الأمين، والوفي الذي لا يمين فقال: كيف يهجوني من يرجوني؟ فقلت: كما يمدحك من يمنحك؟ فلما جذبني، رأيتني في غير الصورة التي فيها كنت، وقد ثبتُّ فيها وتمكنت، فقلت: يا أنا! فقال أنا: مرحباً فقلت: لا مرحباً ولا أهلاً، ولا سعة ولا سهلاً! فقال: يا قرة العين! ما رأيك؟ ويا أسير الكون! ما أصابك؟ فقلت: كم ذا تحجبني عني؟ فاكشفني لي حتى أعرفني، هذا الوحي ممدود، ولوائي معقود، وعلمي محدود، ومقامي محمود، وسري مشهود، ولُبي موجود، ومطلوبي مفقود، وأنا في عالمي معبود، أُدعى كلمة الوجود، فلو فُنيتُ هذه الأعيان، وتلاشت هذه الأكوان، وغُيّبتُ عن الاستواء الرحماني والاسم الرّباني، أمكنني أن أُسر باللمحة، ولا أتضرر بالمنحة، قال: قد فُنيت الأقلام، وذهبت الأعلام، وراحت الأسماء، واحتجب الاستواء، ورفعت الألواح، وفقدت الألباب، والأرواح، ولكن لا بدّ لك من ظلمة الجنة الدهماء، ودائرة الماء، والقلم الأعلى، والقدم الأولى، والنون المكنون، واليمين المصون، فعندما سمعت أن أثراً من الكون أمامي، خفت أن يقطعني عن إلمامي، فانتهضتُ من تلك الظلمة المدلهمة، وتركت بها بُراق الهمة، ورُفعت على أسرة اللطائف ومتكئات الرفارف إلى أن وصلنا مقام الابتهاج، أتمايل فيه تمايل السراج، فقلت: ما لي وحالة السماع؟ فقيل: حركك حسن الإيقاع، فقلت: ما أحسنت به! فقيل لي: انتبه! فإنه بك لا أنت به، فقلت: الحقيقة في غنى عن إيقاع الغناء، ومطلبها الفناء في الفناء، فحجب عن عيني عينها، وحال بيني وبينها، ثم قال لي: أين أنت من العالم ومني؟

قلت: بين التعني والتمني، مطلبي في العماء، وأنا في الماء، وروحي في السماء، وعرشي في الهباء، وأهلي في سباء، وملكي في الاستواء، وحكمي في قدمي السواء، وفَلَكي في الفُلك، وحجابي في المُلك، وتثليثي في الهيولى، ومحنتي في الأولى، وبدايتي في الحافرة[3] وغايتي في الآخرة، وحلتي في زحل، ومناجاتي في المشتري الأكمل، وخلافتي الإنسانية في المريخ

---

(١) إشارة إلى الآية ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾، سورة القمر، الآية ١٠.

(٢) إشارة للحديث النبوي (كلتا يديه يمين) أخرجه مسلم في صحيحه: امارة: ١٨.

(٣) الحافرة: الخلقة الأولى، وفي التنزيل العزيز: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ أي في أول أمرنا. لسان العرب: مادة (حفر)

الأحمر، وقلبي في السيد الإبراهيمي الأكبر، وحُسني في زهرة الاحكام، وإمضائي في عطارد الافهام، وخلافتي الإلهية في البدر الأرفع، وهيكلي في العنصر المربع، قال: هذا حظك من كوني، فأين حظك من عيني؟

فقلت: ـ يا أيها المشير! المناسبة تكون بالنقيض وبالنظير، والنظير الملازم يكون بالذاتي واللازم.

فقال المشير: أريد مناسبة النظير فقلت [٩٠و] في رسمي رسمك، وفي نعتي نعتك، والإجمال أحسن من التفصيل، في هذا القبيل من أجل أبناء السبيل.

فقال: صدقت! فأين مناسبة النقيض، بحكم الحقيقة، لا بحكم التعريض؟.

قلت: في عدمي وجودك، وفي بخلي جودك، وفي كلامك خرسي، وفي قولك جرسي، وفي استحالتي قدمُك، وفي بدايتي قِدمُك.

قال: علمتُ أنك علمتَ، ونعم به ما حكمت.

ثم كَشَفَ لي عن شجرة البستان الكلية، الموصوفة بالمثلية، فنظرت إلى شجرة أصلها ثابت، وفرعها في السماء، وثمرها بين إله الاستواء، وبين أوراقها وأغصانها الغراب والغريبة العنقاء، وفي ذرى أفنانها العقاب والمطوقة الورقاء، فسلمت على الشجرة، فحُييتُ بأحسن من ذلك، وقالت: اسمع أيها السالك المالك خطبة الشجرة الكلية الموصوفة بالمثلية ثم قالت: أنا الشجرة المثلية، الجامعة الكلية، ذات الأصول الراسخة، والفروع الشامخة، غرستني يد الأحد، في بستان الأبد، مستورة عن تصاريف الأمد، فأنا ذات روح وجسد، وثمري مقطوف دون يد، حملت من ثمر العلوم والمعارف، ما لا تستقل بحمله العقول السليمة وأسرار اللطائف، وَرَقي فرش مرفوعة، وفاكهتي غير مقطوعة ولا ممنوعة، ووسطي هو المقصود، وفروعي في هبوط وصعود، فالهابطة للتدلي والإفادة، والصاعدة للتدني والاستفادة، نشأتي كالفلك في الاستدارة، وفروعي منازل الأرواح الطيارة، وزهري كالكواكب السيارة، تتكون المعادن عن سريانها في أبدانها، أنا شجرة النور والكلام، وقرة عين (موسى) عليه السلام، لي من الجهات اليمين الأنفس، ومن الأمكنة الوادي المقدس، ولي من الزمان الآن، ومن المساكن خط الاستواء واعتدال الأركان، فلي الدوام والبقاء، والسعادة دون الشقاء، جني جنتي دان، وفنني يُمسُّ كأنه نشوان، له لطافة وحنان، على جميع الحيوان، لم تزل أفناني للأرواح اللوحية كنادرا، وورقي لها عن تأثير الشعاعات اليوحيّة ساترا، ظلي ممدود لأهل العناية، وجناحي منشور على أهل الولاية، تهب على الأرواح باختلاف تصاريفها، فتخرج أغصاني عن ترتيب تآليفها، فتسمع لذلك التداخل نغمات توله العقول العلوية، على سمو أوجِها، وتجري بها على حسب ما رقم في

درجها، فأنا موسيقار الحكمة، ومزيل الغموم بحسن إيقاع النغمة، فأنا النور الأزهر، ولي البساط الأخضر، والوجه المستدير الأنضر، أيدتُ بالقوى، وشُرِّفتُ بالمستوى، وصرت كالهيولى، أقبل جميع الصور في الآخرة والأولى. لا أضيق عن حمل شيء، ولا أنفك عن نور وفيء، فنوري عليَّ، وفيئي لمن استند إليَّ، فأنا الظل الممدود، والطلح المنضود والمعنى المقصود، وكلمة الوجود، وأشرف محدث موجود، وأنزه...[1] عزيزة السلطان، مقدسة المكان، رفيعة المنار، ينبوع الأنوار، جوامع الكلم[2]، معدن الأسرار والحكم، ونسخة الاسم الأعظم، ومَظهر السر المحكم [٩٠ظ].

لـيَ الأرضُ الأريضةُ والسماءُ — وفي وسطي السواءُ والاستواءُ[3]
لي المجد المؤثل والبهاء — وسر العالمين والاعتلاءُ
إذا ما أمّت الأفكار ذاتي — يحيرها على البعد العماءُ
فما في الكون من يدري وجودي — سوى من لا يقيده الثناءُ
له التصريف والاحكام فينا — هو المختار يفعل ما يشاءُ

خطبة المطوقة الورقاء

ولما سَمِعت المطوقةُ كلامَ الشجرة الكلية، وما جاءت به من المعارف الإلهية، صدحت في روضة قدسها، معربة عن نفسها، قالت:

لما أراد اللّه إيجاد كوني، وإشهاد عيني، وأن يطوقني طوق البها، ويسكنني في سدرة المنتهى، نادى بعُقابه الآمن من عِقابه، وهو بفناء بابه، فأجابه مطيعاً، وقال: ناديتَ سميعاً فقال: إنك في أرض غربة، وإن كنت مني في محل القربة، فإني لست من جنسك، فلا بدّ من استيحاش نفسك، وفيك قرة عين، فأظهرها في العين، تأنس بمجاورتها، وتتنفس بمحاورتها، فإن الأنس فيَّ محال، وأنا شديد المحال، فقال العقاب: وكيف يظهر عني شيء ومقامي العجز؟ وما في قوتي سلطان ولا عز؟

فقال له: الزم المناوحة، فسيظهر عينها عند المكافحة، وهذا هو الانتظام الثاني، والالتحام بالمثاني، فناوح الأمر، فظهرتُ، وناداني الحق، وما عرف العقاب ما جرى به النهر، لشغله

---

(١) كلمة مطموسة في الأصل.
(٢) (الكلم) زيادة من نسخة (ب).
(٣) من الوافر، ديوان ابن عربي، ٣٧.

بالمهر، وكوني منه في الظهر، فعندما سمع أجابت الندا، قال: ما هذا الذي بدا؟ فصرف النظر إليَّ فعشِقني، وهيَّمه ما به الحق من الجمال طوقني، فشكا العليل والأليل، ونادى بالحريق والغريق، وبَلبَل بُلبل بلباله، وتعمَّل في إصلاح باله، ويأبى الخرق إلاّ اتساعاً، والعزاء إلاّ امتناعاً، وما أُبيح له لثمي، وشفاؤه في مضاجعتي ضمي، فرفع عنه حجاب الريب، ونودي من خلف سرادقات الغيب، ما لك تنظر في أعطافها، وتوقيع نغماتها؟ ولا تنظر في أوصافها، وبديع حكمتها؟ فدعاني إليه فلبيت، وأمرني بالقعود بين يديه فجثوت، فقال لي تهيامي في حسن مبانيك، أذهلني عن معرفة معانيك، وقد ورد الأمر أن تعرِّفيني بنفسك، وتُطلعي لي بارقة من سنا شمسك، فقلت: إن اللّه أوجدني منك عند التقابل، وأظهرني من ظهرك على التماثل، فأنا من قوتك صادرة، وبصورتك ظاهرة، وأودعني حقيقتين، ووهبني رقيقتين: حقيقة أُعرف بها، وحقيقة أكون ما شئته بسببها، ورقيقة مني إليك، تنزلني إذا اشتهيتك عليك، وبها حضرت بين يديك، ورقيقة مني إليه، تنزلني إذا دعاني عليه، فعندما سمع أن بيني وبينه رقيقة ممتدة، وهو قد تحقق بحقائق المودة، نزل في تلك الرقيقة إليّ، حتى امتزجت ذاتي بذاته، وغابت صفاتي في صفاته، وغبنا في لذة الالتحام، وطبنا بحصول الانتظام، ووقع النكاح المعنوي، واجتمع الماءان، في الرحم الآن، وقَبِلَهُ الرَّحِمُ بحكمة من حُرِمَ ومَن رُحِم، وبُلَّ العاشقُ من دائه، وارتاح شوقاً إلى ندائه، فهو يتردد بين شوقين، ويغرب في غربين، ويشرق في شرقين، فعندما استُبل [٩١و] من ألمه، ونزح إلى معلمه، وجدت في ذاتي امتلاء لم أكن أعرفه قبل ذلك، وانسدت المجاري له والمسالك، فحركت الرقيقة الإلهية، فأجابني، وقلت: يا إلهي! ما هذا الذي أصابني؟ فقال: تنفسي بذكري، لتظهر عنك كلمة أمري، فتنفست تنفس المثقل، فإذا بالعنقاء قد عمَّرت المعقل، فاسألوا العنقاء عن شأنها فستخبركم بما أودع الحق فيها من لطائفه، ومنحها من عوارفه فقال لسان حالها بصدق مقالها:

أنــا ورقـــاء الــمـــثـــانـــي ... مــســكــنـــي روض الــمــعــانـــي[1]
أنــا عـــيـــن فـــي الـــعـــيـــانِ ... لـــيـــس لـــي غـــيـــر الـــمـــثـــانـــي
فـــيـــنـــاديـــنـــي يـــا ثـــانـــي ... وأنـــا لـــســـت بـــثـــانـــي
يـــنـــتـــهـــي إلـــى وجـــودي ... كـــل شـــيء فـــي الـــكـــيـــانِ
أنـــا أتـــلـــو مـــن تـــســـامـــت ... ذاتـــه عـــن الـــعـــيـــانِ
لـــي حُـــكـــم مـــســـتـــفـــادٌ ... فـــي الأقـــاصـــي والأدانـــي

(١) من مجزوء الرمل، ديوان ابن عربي، ٣٧ - ٣٨.

ليس لي مَثَلٌ سوى مَنْ شأنه يشبه شاني
فانتقد إن كنت تبغي ما أتى به لساني
من رقائق تدلت بحقائق حسانِ
لقلوب قد تولت عن زخارف الجنانِ
طالبات مَنْ تعالى عن تصاريف الزمانِ
فهو الفرد المعلى ما له في الحكم ثاني
وهو الذي اجتباني وهو الذي اصطفاني
وأقامني عديلاً بين دِنٍ ودنانِ
فأقاصي كل قاصٍ وأداني كل داني
وأوالي كل والٍ وأعاني كل عاني
فإذا هُوِّيت سفلاً فبروح السريانِ[1]
وإذا صُعِّدتُ علواً فبتحليل البيانِ[2]
فأنا أعطي المعاني وأنا أخلي المغاني

خطبة العقاب المالك

لما سمع العقاب ما ذكرته المطوقة، وما قررته من العلوم المحققة، قال: صدقتْ فيما ادعته وأظهرت لكم ما وَسِعته.

قلنا له: طر في جو بيانك، وأعرب لنا عن شانك، فاهتز سرير العقاب، وصفق بجناحيه وطاب، وقال:

أنا العقابُ ليَ المقامُ الأرفعُ والحسنُ والنورُ البهيُّ الأسطعُ[3]
أُمضي الأمور على مراتب حكمها في العدوة الدنيا وعزي أمنعُ
أنا فيضه السامي ونور وجوده وأنا الذي أدعو الوجود فيخضعُ
وأنا الذي ما زلت قبضة موجدي فالجود جودي والحقائق[4] توضعُ

(١) في الديوان (فبروح).
(٢) في الديوان (فلتحليل المباني).
(٣) من الكامل، ديوان ابن عربي، ٣٨ - ٣٩.
(٤) في الديوان، (الخلائق).

نحوي لتطلب ما لها في شربها مناً فأعطي من أشاء وأمنعُ
أدنو فيبهرني جمال وجوده أنأى فيدعوني البهاء الأروعُ
فإذا دنوتُ فحكمةٌ مقبولة لكن لها قلب العلى يتصدعُ
وإذا بعدت فامرة مقسومة والنور من أرجائها يتشعشعُ
فأنا الأمير إذا بعدت فشقوتي في إمرتي وسعادتي إذ أنزعُ
فأسرُّ أوقاتي وأسعدها إذا عاينت أعيان الأهلة تطلعُ

ثم قال: لم أزل في مرتبة من مراتب الكون، وأنا معدوم العين، إلى أن سبقت العناية، وكانت بوجودي البداية، وذلك أنه تجلى بنفسه لنفسه، فامتد وجودي بشهودي، وقبلتُ السورة بالصورة، وكنتُ سريرة بالسريرة، فاستوى عليَّ الاسم الجامع، وحفَّ بركائبه وزيراه: المعطي والمانع، وحاجباه: الضار والنافع، فلما تحقق الاستواء، وبان السواء، ودعتني الأسماء، بالأعز الأسمى، فعمّر الفناء، وبرز البقاء والفناء، وتوالى القسط والفيض واستمر، وثبت البسط والقبض واستقرّ، وصحّ بالمَلَك المُلك، وظهر بالمالكة المُلك، ودار بالفَلك الفُلك [٩١ظ] وناداني نداء التعليم، بلسان التحكيم، أن انظر في ذاتك، بجامع لذاتك، فلما وقع مني النظر، وميّزت بين من يجب له التقدم ممن يجب له النظر، وشرعت المذاهب، وقسّمت الأنوار بين المكاسب والمواهب، وقلت لمن عاينت من الأرواح المهيمة: الزموا الحضرة المهيمة، وقلت لمن عاينتُ من الأرواح المسخَّرة: الزموا المقامات المسخرة، ثم قلت لمن عاينت من الأرواح المدبرة: الزموا الهياكل المدبرة، فراح كل صنف يطلب منزله، ليشاهد منزَّله، وكنت قد عاينت المطوقة الورقاء، وحملها الغريبة العنقاء، غير أني لتقسيم النازل، ذهلت عن النازل، فأنا علم الكون، والمخبوء في أردية الصَوْن، افترى عليَّ جماعة من العقلاء، وتعصّب لأخذي عصابة من الفضلاء، فنصبوا شرك أفكارهم لصدي، وأحالوا علي ما مددتهم به ليستخرجوا حدي، ولما كانت الهمم قد توفرت لتحصيلي في شركهم الفكري، وحصل فيها عقاب على صورتي من الموطن الوهمي، قالوا: هذا هو الحق المبين، ولو عرفوا أن الحق ما بان له ولا يبين، فإن المعرفة بي وبموجدي موقوفة على الوهب، مصروفة عن الكسب، فاستفزهم بشبهته الشيطان، وتخيلوا أنهم قد حلوا بالرُّبى، وما نزلوا إلاّ بالغيطان، واشتبه عليهم القِدَمَ بالقَدم، فحكموا علي بالقِدم، وإن وجودي لا عن عدم، فتركتهم بشبهتهم لحماً على وضم، وهكذا ينبغي في من اهتضم الأمر الإلهي الوهبي أن يهتضم، فأنا بريء مما نسبوا، وكافر بما نصبوا، فإن اللّه جل ثنائه في القِدم، وأنا إذ ذاك محكوم علي بالعدم، ثم أوجدني عن عدم لسابقة القدم، فظهر عيني، وأنار بعلمه كوني، وناط بي الفقر والعجز، وأماط عني الأزر والعز، فأنا الذليل الذي لا يُعز، والقوي الذي لم يزل يعجز.

خطبة الغريبة العنقاء

فلما فرغ العقاب من كلامه، وأتى على بيان مقامه، قامت العنقاء تعرب عن وجودها، وتغرب بعزة حدودها فقالت:

أنا عنقاء مغرب، ما زال مسكني بالمغرب، بالمقام الوسيط، على سِيْفِ البحرِ المحيط، اكتنفني العجز من الجهتين، وما ظهر قط لوجودي عين، وقالت:

فأنا الذي لا عين لي موجود | وأنا الذي لا حكم لي مفقود[1]
عنقاء مغرب قد تُعورف ذكرها | عرفاً وباب وجودها مسدوذ
ما سيّر[2] الرحمن ذكري باطلاً | لكن لمعنى سره المقصود[3]
هو أنني وهّابة أسرارهم | عرفانهم فصراطنا ممدوذ
والسالكون على مراتب نورهم | فأجلّهم من نوره التجريذ

فبي تكون الحدود، وعليَّ توقّف الوجود، يُسمعُ بذكري ولا أرى، وليس الحديث بي حديثاً يفترى، أنا الغريبة العنقاء، وأمي المطوقة الورقاء، ووالدي العقاب المالك، وولدي الغراب الحالك، أنا عنصر النور والظلم، ومحل الأمانة والتهم، لا أقبل النور المطلق فإنه ضدي، ولا أعرف العلم فإني ما أعيد ولا أبدي، كل من اثنى عليَّ بعيد الفهم، مقهور تحت سلطان الوهم، ما لي عزة فاحتمي، وهياكل الكون الأعلى والأسفل إليّ تنتمي، أنا الحقيقة [٩٢و] الأجمعة، لما عندي من السعة، فالبسُ لكل حال لبوسها، أما نعيمها وأما بؤسها، لا أعجز عن حمل صورة، وليس لي في السور المعلومة سورة، لكني وُهبتُ أن أهب العلوم ولست بعالمة، وأمنح الأحكام ولست بحاكمة، لا يظهر شيء لم أكن فيه، ولا يحصره طالب مدرك ولا يستوفيه، فبهذا القدر عَظُمتُ في أعين المحققين، ولي جولان في مجالس المطرقين، فهذا قد أبنت عن حالي، وأظهرت صدقي في محالي.

خطبة الغراب الحالك

فقام الغراب وقال:

أنا هيكل الأنوار، وحامل محال الأسرار، ومحل الكيف والكم، وسبب الفرح والغم، أنا

---

(١) من الرجز، ديوان ابن عربي، ٣٩.

(٢) في الديوان (صير).

(٣) في الديوان (مقصود).

الرئيس المرؤوس، وليس الحس المحسوس، بي ظهرت الرسوم، ومني قام عالم الجسوم، وأنا أصل الأشكال، وبمراتب صوري تُضرب الأمثال، فأنا المصباح والرياح، وأنا سلسلة على صفوان والجناح، أنا البحر الذي طَفِقَ موجه، وأنا فرد المعدود وزوجه، عُرْضي دار كرامته لأوليائه، وعمقي دار إهانته لأعدائه، وطولي مذ وجدت لم يزل، يقابل بذاته الأبد والأزل، فأنا بوطيقي الحكم، وموسيقي النغم، وجامع حقائق الكلم، إليّ المنتهى، وعليّ عوّل أُولو النهى، وأنا أسنى ما منح اللهى، أنا الغاية وليست لي غاية، من أجلي أُخذ مَنْ أُخِذ، وبسببي نُبِذَ مَنْ نُبِذ، أنا المطوية باليمين، وأنا قبضة الحق المبين، دعاني الحق إلى حضرته فأتيت، وناداني إلى معرفته فلبيت، أنا صورة الفلك، ومحل الملك، عليّ صح الاستواء، وعني كُني بالمستوى، أنا اللاحق الذي لا أُلحق، كما أن العقاب السابق الذي لا يسبق، هو الأول وأنا الآخر، وله الباطن ولي الظاهر، قُسم الوجود بيني وبينه، وأنا ظهرت عزّه وكونه، توقف عليّ حكمه، وسرى منه علمي، وسرى فيّ علمه، إذا دفعه واهبه، فإليّ لأفيده[1] وإذا أفدته شكرني لأزيده، فقامت طائفة ممن تدّعي العقل الرصين - على زعمها - وقضت عليّ شبهتهم بحكمها، فناطوا بي قبيح الهجاء، وجعلوني في حلة حُسن الثناء، فجار عليهم وبال ما كانوا يعملون، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون، كأني بهم في عمقي يستصرخون، فيجابون: اخسأوا فيها ولا تكلمون، إذا كان في عُرضي أهل الثناء الحسن في حقي فاكهين هم وأزواجهم في روضة يحبرون، قد أثنى عليّ الشرع فما أُبالي، وبيّنَ مرتبتي السمع فما أُغالي، ثم قال:

فــأنــا الــســر الــمــســوّى	خــلــقــه بــلا بــنــانِ[2]
رتّــب الأمــور فــيــه	خــالــقــي لــمــا بــنــانــي
فــأنــا صــخــر ومــنــي	تــتــفــجــر الــمــعــانــي
وأنــا مــع الــعــوالــي	مــثــل افــراس الــرهــان[٩٢ظ]
وأنــا الــذي تــوارى	حــشــمــة[3] عــن الــعــيــانِ
والــذي أجــبــت ربــي	طــائــعــاً لــمــا دعــانــي
فــالــذي يــرى وجــودي	لــتــصــاريــف الــزمــانِ
كــفــؤاد أم مــوســى	فــارغــاً مــن الــمــعــانــي

(١) في الأصل (لنفيده).

(٢) من مجزوء الرمل، ديوان ابن عربي، ٣٩ - ٤٠.

(٣) في الديوان (حسمه).

فهو الخلي حقاً | من حقائق البيان
فأنا أصل المعاني | وأنا أس الأغاني
وأنا سر إمام | فاضل سامي المكان
علمه[1] أكمل علم | شأنه أعظم شان
هام بي لما رآني | في مقاصير الجنان
لا أسميه فإني | خائف حد السنان
والذي يفهم رمزي[2] | هو (صخر بن سنان)
أكرم الوجود كفاً | ثابتاً عند الطعان
فأنا والأم والجدة | والجد المعاني
في وجودنا عن الحق | معاً بلا زمان[3]
مثلما لاحَ لعينٍ | في الهوى برقُ يماني

فهذا يا (صخر بن سنان)، قد أوضحت لك مقامات أمهات الأكوان، وهي[4]: الإنسان الكلي، والعقل الأول، والنفس الواحدة، والهيولى، والجسم الكلي، فابحث فيها بحث العاقل الطالب نجاة نفسه، وحضرات قدسه.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، وهذا آخر ما رقمناه، وبالحق أنزلناه، من هذه الرسالة المسماة: بـ (الاتحاد الكوني في حضرة الإشهاد العيني بمحضر الشجرة الإنسانية والطيور الأربعة الروحانية)[5].

---

(١) في الأصل (وهمام علمه) والتصحيح من الديوان.
(٢) في الديوان (قولي).
(٣) في الديوان (في وجودنا من الجود معاً بلا زمان).
(٤) في الأصل (وهو) والسياق يقتضي ما أثبتناه.
(٥) أثبت الناسخ في خاتمة الرسالة ما نصّه: «وكان الفراغ من تعليق هذه الرسالة المباركة يوم الجمعة، أول يوم في شهر جمادى الآخر [كذا] من شهور سنة ٩٨٤ من الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا (محمد)، وآله وصحبه أجمعين، وعلى التابعين وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين».

كتاب الإسفار عن نتائج الأسفار

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الحمد لله الكائن في العماء الموصوف بالاستواء، جلال ذاته بعد فراغه، من خلق أرضه إلى خلق سماواته، وأنزل القرآن في ليلة القدر وهي الليلة المباركة إلى السماء الدنيا جملة بسوره وآياته، ورحل السيارة في منازل المزج والتخليص وجعل ذلك مما تمدح به من تقديراته، وأسرى بسيدنا محمد عبده ﷺ ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى قاب قوسين أو أدنى ليريه من آياته، وأهبط آدم إلى أرض ابتلائه، وأخرجه من جنته دار نعيمه ولذاته، ورفع إدريس عليه السلام من عالم الأكوان إلى أن أنزله المكان العلي في أوسط درجاته، وحمل نبيه نوحاً عليه السلام بين تلاطم أمواج بحر طوفانه في سفينة نجاته.

وهذب بإبراهيم خليله عليه السلام ليمنحه ما شاء من هدايته وكراماته، وأخرج يوسف عليه السلام عن أبيه عليه السلام ثم أتبعه أباه ليصدقه فيما رآه في منامه من أحسن بشاراته.

وأسرى بلوط وأهله لينجيه من نقماته، وأعجل موسى عليه السلام عن قوله لما جاء ربه لميقاته، وألاح له نوراً في صورة نار ليتفرغ إليه فناداه من حاجاته، فسعى إليه فحاباه بمناجاته، وأخرجه فاراً من قومه ليرسله بتكرمته برسالاته، وأسرى بقومه ليغرق من نازع ربه في ربوبيته من طغاته، وأتعبه حين فارق الأدب في علمه في طلب من علمه من لدنه علماً وآتاه رحمة من رحماته.

ثم أتبعه في سفره ليعلمه بما خصه الله من قضاياه وحكوماته، وحمل نبيه موسى عليه السلام في تابوته، وهو لا يعقل في يم هلكاته.

ورفع عيسى عليه السلام إليه لما كان كلمة من كلماته، وأذهب نبيه يونس عليه السلام مغاضباً فضيق عليه في بطن حوت في ظلماته.

وأفضل طالوت بالجنود وفيهم داود عليه السلام ليبتليهم بنهر البلوى ليتمكن من

صاحب غرفاته، وأخرق الآفاق بذي القرنين ليقيم سداً بين الطائعين من عباد الله وبين عصاته.

وأنزل الروح الأمين على قلوب أهل نبواته، وأصعد الكلم الطيب إليه على براق العمل الصالح ليكرمه بمشاهدة ذاته، والصلاة على سيدنا محمد ﷺ خير من تخلق بأسمائه وصفاته، والسلام عليه وعلى آله من أصحابه وقراباته، وأزواجه وبنيه وبناته.

أما بعد فإن الأسفار ثلاثة لا رابع لها أثبتها الحق عز وجل وهي سفر من عنده، وسفر إليه، وسفر فيه، وهذا السفر فيه هو سفر التيه والحيرة فمن سافر من عنده فربحه ما وجد وذلك هو ربحه، ومن سفر فيه لم يربح سوى نفسه، والسفران الأولان لهما غاية يصلون إليها ويحطون عن رحالهم، وسفر التيه لا غاية له، والطريق التي يمشي فيها المسافرون طريقان طريق في البر وطريق في البحر قال الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢].

وهنا نكتة، وهي أنه تعالى ما قدم البر على البحر وتهمم بتقديمه إلا ليعلم أنه من قدر على البر لا يسافر في البحر إلا من ضرورة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لولا هذه الآية ثم يتلو ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢] لضربت بالدرة من سافر في البحر ولو لم يكن في الإشارة إلى ترك السفر إلا قوله في ذلك ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥] لكانت هذه الآية كافية ثم تقول وما منها سفر من هذه الثلاثة الأسفار إلا وصاحبه فيه على خطر إلا أن يكون محمولاً كالإسراء فكل من سوفر به نجى وكل من سافر من غير أن يسافر به فهو خطر ثم إنه لما كان الوجود مبدأه على الحركة لم يتمكن أن يكون فيه سكون لأنه لو سكن لعاد إلى أصله وهو العدم فلا يزال السفر أبداً في العالم العلوي والسفلي والحقائق الإلهية كذلك لا تزال في سفر غادية ورائحة وقد جاء النزول الرباني إلى السماء الدنيا وقد جاء الاستواء إلى السماء على ما يعطيه التنزيل ونفي المماثلة والتشبيه.

وأما العالم العلوي فلا تزال الأفلاك دائرة بمن فيها لا تسكن ولو سكنت بطل الكون وتم نظام العالم وانتهى. وسياحة الكواكب في الأفلاك سفر لها والقمر قدرناه منازل وحركات الأركان الأربعة وحركات المولدات في كل دقيقة بالتغيير والاستحالات في كل نفس وسفر الأفكار في محمود ومذموم وسفر الأنفاس من المتنفس وسفر الأبصار في المبصرات يقظة ونوماً وعبورها من عالم إلى عالم بالاعتبار وهذا كله سفر بلا شك عند كل عاقل وقد ذهب بعضهم إلى أن عالم الأجسام من وقت خلقه الله لم يزل بجملته نازلاً ولا يزال في الخلأ

الذي لا نهاية له وعلى الحقيقة فلا نزال في سفر أبداً من وقت نشأتنا ونشأة أصولنا إلى ما لا نهاية له وإذا لاح لك منزل نقول فيه هذا هو الغاية انفتح عليك منه طرائق أخر تزودت منه وانصرفت فما من منزل تشرف عليه إلا ويمكن أن تقول هو غايتي ثم إنك إذا وصلت إليه لم تلبث أن تخرج عنه راحلاً وكم سافرت في أطوار المخلوقات إلى أن تكونت دماً في أبيك وأمك ثم اجتمعا من أجلك عن قصد لظهورك أو غير قصد فانتقلت منياً ثم انتقلت من تلك الصورة علقة إلى مضغة إلى عظم ثم كسى العظم الحمائم انشأت نشأة أخرى ثم أخرجت إلى الدنيا فانتقلت إلى الطفولة ومن الطفولة إلى الصبا ومن الصبا إلى الشباب ومن الشباب إلى الفتوة ومن الفتوة إلى الكهولة ومن الكهولة إلى الشيخوخة ومن الشيخوخة إلى الهرم وهو أرذل العمر ومنه إلى البرزخ فسافرت في البرزخ إلى الحشر ثم من الحشر أحدثت سفراً إلى الصراط إما إلى جنة وإما إلى نار إن كنت من أهلها وإن لم تكن من أهلها سافرت من النار إلى الجنة ومن الجنة إلى كثيب الروية فلا تزال تردد بين الجنة والكثيب دائماً أبداً وفي النار لا يزالون مسافرين من صعود إلى هبوط ومن هبوط إلى صعود مثل قطع اللحم في القدر على النار ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] فما ثم سكون أصلاً بل الحركة دائمة في الدنيا ليلاً ونهاراً ويتعاقبان فيتعاقب الأفكار والحالات والهيئات بتعاقبهما وتعاقب الحقائق الإلهية عليهما فتارة تنزل على الاسم الإلهي الرحيم وتارة على الاسم التواب وتارة على الغفار وتارة على الرزاق وعلى الوهاب وعلى المنتقم وكل اسم للحضرة الإلهية وهي أيضاً تنزل عليك بما عندها من الوهب والرزق والانتقام والتوبة والمغفرة والرحمة فنزول منك عليها بالطلب ونزول منها عليك بالعطاء فإذا كان الأمر على هذا فيرجع العبد تفكره ينظر في الفرقان بين السفر الذي كلف أن يستعد له وفيه سعادته أعني في الاستعداد وهو السفر إليه والسفر فيه والسفر من عنده وهذه الأسفار كلها مشروعة له وبين السفر الذي ما كلف أن يستعد له كالمشي في الأرض في المباح والسفر في تجارة الدنيا لتثمير المال وأمثال ذلك وكفر نفسه بالدخول والخروج فإنه من وجه غير مكلف به ولا مشروع وإنما تقتضيه النشأة نسأل الله جميل العاقبة والعافية.

ثم إن المسافرين من عنده على ثلاثة أقسام مسافر مطرود كإبليس وكل مشرك، ومسافر غير مطرود لكنه سفر خجل كسفر العصاة لأنهم لا يقدرون على الإقامة في الحضرة مع المخالفة للحياء الذي غلب عليهم، وسفر اجتباء واصطفاء كسفر المرسلين من عنده إلى خلقه ورجوع الوارثين العارفين من المشاهدة إلى عالم النفوس بالملك والتدبير والناموس والسياسة.

ثم المسافرون إليه أيضاً ثلاثة مسافر أشرك به وجسمه وشبهه ومثله ونسب إليه ما

يستحيل عليه إذ قال عن نفسه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فهذا المسافر يصل إلى الحجاب لا يراه أبداً طريداً عن الرحمة، ومسافر نزهه عن كل ما لا يليق به بل يستحيل عليه مما جاء في المتشابه في كتابه ثم يقول في آخر تنزيهه والله أعلم بما قاله في كتابه ثم لم يزل فيما عدا الشرك والتشبيه خالصاً في المخالفات فهذا إذا وصل وصل إلى العتاب لا إلى الحجاب ولا إلى عذاب مؤبداً فهذا يتلقاه الشافعون ينتظرونه على الباب فينزلونه عليه خير منزل لكنه يعتب في عدم الاحترام ومسافر معصوم ومحفوظ قد بسطهما الأنس والدلال يخاف الناس ولا يخافون ويحزن الناس ولا يحزنون لأنهم من الخوف والحزن انتقلوا ومن انتقل من شيء من المحال أن يحط فيه ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٣] وهي البشرى التي لهم في الآخرة فهؤلاء هم المسافرون إليه.

وأما المسافرون فيه فطائفتان طائفة سافرت فيه بأفكارها وعقولها فضلت عن الطريق ولا بد فإنهم ما لهم دليل في زعمهم يدل بهم سوى فكرهم وهم الفلاسفة ومن نحا نحوهم، وطائفة سوفر بها فيه وهم الرسل والأنبياء، والمصطفون من الأولياء كالمحققين من رجال الصوفية مثل سهل بن عبد الله وأبي يزيد وفرقد السبخي والجنيد بن محمد والحسن البصري ومن شهر منهم ممن يعرفه الناس إلى زماننا هذا غير أن الزمان اليوم ليس هو كالزمان الماضي وسبب ذلك قربه من الدار الآخرة فكثر الكشف في أهله اليوم وصارت لوائح الأرواح تبدو وتظهر فأهل زماننا اليوم أسرع كشفاً وأكثر شهوداً واغزر معرفة وأتم في الحقائق وأقل عملاً من الزمان المتقدم فإنهم كانوا أكثر عملاً وأقل فتحاً وكشفاً منا اليوم وذلك لأنهم أبعد الأزمان الصحابة لشهود النبي ﷺ ونزول الأرواح عليه فيما بينهم مع الأنفاس كان المنورون منهم عندهم هذا وكانوا قليلين جداً مثل أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم وأمثالهم فالعمل فيما مضى كان أغلب والعلم في وقتنا هذا أغلب والأمر في مزيد إلى نزول عيسى عليه السلام فإنه يكثر والركعة اليوم منا كعبادة شخص ممن تقدم عمره كله كما قال ﷺ «للعامل منهم أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم» وما أحسنها من عبارة وألطفها من إشارة وهذا مما ذكرناه من الاقتراب اقتراب الزمان وظهور حكم البرزخ ألا ترى إلى قوله ﷺ «لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل فخذه بما فعل أهله وعذبة سوطه وتقول الشجرة هذا يهودي خلفي اقتله» وهذا في الدنيا فهل هذا إلا من ظهور أمر الآخرة التي هي الدار الحيوان فالعلم واحد منتشر يستدعي حملة فمهما كثر حاملوه بما هم فيه من الصلاح لأنه علم الصالحين قسم عليهم ولهذا قل فيمن تقدم ومن كان عنده منه شيء لم يظهر عليه لأنه غالب عليه ومهما قل حاملوه بما هم في العامة من الفساد حصل

للصالح منهم موفوراً لأن عنده نصيب كل مفسد فإنه وارثه فلهذا كثر العلم والفتح والكشف في المتأخرين ومن كان عنده منه شيء ظهر عليه لأن علمه غالب عليه لكثرته فسبحان واهب الكل، ولكن مع هذا كله فالآخر في ميزان الأول ولا بد إذا كان تابعاً له مقتدياً به ولكن من حيث الوزن وهو العمل لا من حيث العلم بالله فإن العلم بالله لا بد فيه من الميزان ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة: ٤].

ونحن إن شاء الله نذكر في هذه العجالة من الأسفار التي وقفنا عليها علماً وعيناً وهي التي وقعت للأنبياء عليهم السلام والأسفار الإلهية وسفر المعاني في معرض التنبيه على ما يبقى من الأسفار فإن الله قد ذكر في القرآن العزيز أسفاراً كثيرة عن أصناف من المخلوقات فاقتصرنا على هذا القدر.

فمن ذلك سفر رباني من العماء إلى عرش الاستواء الذي تسلمه الاسم الرحمن

ورد خبر وهو أن بعض الناس قال لرسول الله ﷺ أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق أو كما قال، فقال ﷺ «في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء» فقد تكون لفظة ما هنا نافية وقد تكون بمعنى الذي.

اعلم أن هذا سرادق الألوهية وحاجز عظيم يمنع الكون أن يتصل بالألوهية وتمنع الألوهية أن تتصل بالكون أعني في الحدود الذاتية ومن هذا العما يقول الله تعالى ما ورد في الصحيح عن النبي ﷺ ما ترددت في شيء أنا فاعلمه ترددي في قبض نسمة المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له من لقائي وقوله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ [ق: ٢٩] وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢] ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠] يعني في يوم الفصل والقضاء وما أشبه هذا النوع مما ورد في الأخبار فهذا من جانب الألوهية لما أرادت الوصول إلى الكون.

وأما ما ورد في هذا الفن عن الكون لما أراد الاتصال بالألوهية قوله ﷺ «لا أحصي ثناء عليك» وقوله «أو استأثرت به في علم غيبك»، وقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه العجز عن إدراك الإدراك إدراك فلما أوجد دائرة الكون المحيطة المعبر عنها بالعرش الذي هو السرير الأقدس فلا بد من ملك لهذا السرير وهو يريد الإيجاد والإيجاد يمده جود الوجود الإلهي ولا بد فلا بد من الرحمانية أن تكون الحاكمة في هذا الفصل فاستوى عليه الاسم الرحمن في سرادق العما الذي ليق بالرحمانية الإلهية وهو نوع من العما الرباني وكان سفر الرحمانية من العما الرباني إلى الاستواء العرشي موجوداً عن الجود وما دون العرش موجود

عن المستوى على العرش وهو الاسم الرحمٰن الذي وسعت رحمته كل شيء وجوباً ومنه ولما سافر هذا الاسم الرحمٰن سافرت معه جميع الأسماء المتعلقة بالكون فإنها وزعته وسدنته وأمراؤه كالرزاق والاسم المغيث والاسم المحيي والاسم المميت والاسم الضار والاسم النافع وجميع أسماء الأفعال خاصة فإن كل اسم لا يعرف إلا من فعل من أسماء الأفعال وهو ممن سافر مع الاسم الرحمٰن وكل اسم لا يعرف من فعل فليس له في هذا السفر مدخل البتة، فإذا أرادت أن تسافر في معرفة ما عدا أسماء الأفعال بأفكارها خرجت عن كرة العرش خروجاً غير مبائن ولا منفصل وأرادت التعلق بالجانب الأقدس الإلهي فوقعت في الحمى وهو سرادق العما فتخبطت فيه لكن لا بد للواصل أن يلوح له من بوارق الألوهية ما تحصل له به معرفة ما ولهذا سماه الصديق بالإدراك وسماه الصادق ﷺ «لا أحصي ثناء عليك» وذلك لما عاين ما لا يقبل ثناء معيناً لكن يقبل الثناء المجهول وهو لا أحصي ثناء عليك فإن الحيرة تقتضي ذلك ولا بد وأصحاب الفكر في عما وأصحاب الكشف في عما والكل في عما لأن الكل في عما والكل على صورة الكل وهذا السفر روحه ومعناه السفر من التنزيه إلى سدرة التشبيه من أجل إفهام المخاطبين وهذا أيضاً من العما عينه.

سفر الخلق والأمر وهو سفر الإبداع

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: ١١ ـ ١٢] بالفتق والرتق ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠] وجاء بكلمة ثم بعد خلق الأرض تؤذن غالباً بأن الثاني بعد الأول بمهلة وهو زمان خلق الأرض وتقدير أقواتها في أربعة أيام من أيام الشأن يومان لشانها في عينها وذاتها ويوم لظهورها وشهادتها ويوم لبطونها وغيبتها ويومان لما أودع فيها من الأقوات الغيبية والشهادية في يومين.

ثم كان الاستواء الأقدس الذي هو المقصود والتوجه إلى فتق السموات وفطرها فلما قضاهن سبع سموات في يومين من أيام الشأن أوحى في كل سماء أمرها فأودع فيها جميع ما تحتاج إليه المولدات من الأمور في تركيبها وتحليلها وتبديلها وتغييرها وانتقالها من حال إلى حال بالأدوار والأطوار وهذا من الأمر الإلهي المودع في السموات في قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢] من الروحانيات العلية فبرز بالتحريكات الفلكية ليظهر التكوين في الأركان بحسب الأمر الذي يكون في تلك الحركة وفي ذلك الفلك فلما فتقها من رتقها ودارت وكانت شفافة في ذاتها وجرمها حتى لا تكون ستراً لما وراءها أدركنا بالأبصار ما في

الفلك الثامن من مصابيح النجوم فيتخيل أنها في السماء الدنيا والله يقول ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [فصلت: ١٢] ولا يلزم من زينة الشيء أن يكون فيه.

وأما قوله وحفظاً فهي الرجوم التي تحدث في كرة الأثير لإحراق الذين يسترقون السمع من الشياطين فجعل الله لذلك شهاباً رصداً وهي الكواكب ذوات الأذناب ويخترق البصر الجو حتى يصل إلى السماء الدنيا فلا يرى من فطور فينفذ فيه فينقلب خاسئاً وهو حسير أي قد أعيّ وجعل في كل سماء من هذه السبعة كوكباً سابحاً وهو قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] فتحدث الأفلاك بحركات الكواكب لا السموات فتشهد الحركات من السبعة السيارة أن المصابيح في الفلك الثامن وزينا السماء الدنيا لأن البصر لا يدركها إلا فيها فوقع الخطاب بحسب ما تعطيه الرؤية لهذا قال ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [فصلت: ١٢] ولم يقل خلقناها فيها وليس من شرط الزينة أن تكون في ذات المزين بها ولا بد فإن الرجل والخيل من زينة السلطان وما هم قائمان بذاته ولما كملت البنية الإنسانية وصحت التسوية وكان التوجه الإلهي بالنفخ العلوي في حركة الفلك الرابع من السبعة وقبل هذا المسمى الذي هو الإنسان لكمال تسويته السر الإلهي الذي لم يقبله غيره وبهذا صح له المقامات مقام الصورة ومقام الخلافة.

فلما كملت الأرض البدنية وقدر فيها أقواتها وحصل فيها قواها الخاصة بها من كونها حيواناً نباتاً كالقوة الجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة والنامية المغذية وفتقت طبقاتها السبعة من جلد ولحم وشحم وعرق وعصب وعضل وعظم استوى السر الإلهي الساري فيه منفخ النفخ الروحي إلى العالم العلوي من البدن وهو بخارات تصعد كالدخان ففتق فيها سبع سموات السماء الدنيا وهي الخنس وزينها بالنجوم والمصابيح مثل العينين وسماء الخيال وسماء الفكر وسماء العقل وسماء الذكر وسماء الحفظ وسماء الوهم.

وأوحى في كل سماء أمرها وهو ما أودع في الحس من إدراك المحسوسات ولا نتعرض للكيفية في ذلك للخلاف الواقع فيها وإن كنا نعلم ذلك فإن علمنا لا يرفع الخلاف من العالم وفي الخيال من متخيلات المستحيلات وفي العقل من المعقولات وهكذا في كل سماء ما يشاكلها من جنسها فإن أهل كل سماء مخلوقون منها فهم بحسب مزاج أماكنهم وخلق في كل سماء من هذه السبعة كوكباً سابحاً في مقابلة الكواكب السيارة تسمى صفات وهي الحياة والسمع والبصر والقدرة والإرادة والعلم والكلام كل يجري إلى أجل مسمى فلا تدرك قوة إلا ما خلقت له خاصة فالبصر لا يرى سوى المحسوسات المبصرات والحس فينقلب خاسئاً فإنه لا يجد قطراً ينفذ فيه والعقل يثبت هذا كله يشهد بذلك الحركات الفلكية التي في الإنسان وذلك بتقدير العزيز العليم، فهذا سفر أسفر عن محياه ودل على تنزيه مولاه

ونتج ظهور العالم العلوي فإن السفر إنما سمي سفراً لأنه يسفر عن أخلاق الرجال معناه أنه يظهر ما ينطوي عليه كل إنسان من الأخلاق المذمومة والمحمودة يقال سفرت المرأة عن وجهها إذا أزالت برقعها الذي يستر وجهها فبان للبصر ما هي عليه الصور من الحسن والقبح قال الله تعالى يخاطب العرب ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾ [المدثر: ٣٤] معناه أظهر إلى الأبصار ومبصراتها قال الشاعر.

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت فقد رابني منها الغداة سفورها

فإن العرب جرت عادتهم أن المرأة إذا أرادت أن تعلم أن وراءها شراً أسفرت عن وجهها وكان هذا القائل قد أعمل الحيلة في الوصول إلى محبوبته فشعر قومها به وعرفت المرأة بشعورهم فعندما بصرت به سفرت عن وجهها فعلم أن وراءها الشر فخاف عليها وانصرف وهو ينشد.

فقد رابني منها الغداة سفورها وما مثل هذا السفر ينزل ربنا

وإشباهه وقد أغنت الإشارة عن البسط والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

سفر القرآن العزيز

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر: ١] السورة بكمالها وهو قوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣] هذا إنزال إنذار قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾ [القدر: ١] يعني القرآن العزيز في ليلة القدر قال أهل التفسير نقلاً، نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا ثم نزل منها على قلب محمد ﷺ نجوماً وهذا سفر لا يزال أبداً ما دام متلواً بالألسنة سراً وعلانية وليلة القدر الباقية على الحقيقة في حق العبد هي نفسه إذا صفت وزكت ولهذا قال: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدخان: ٤] وكذلك النفس خلق فيها كل أمر حكيم فألهمها فجورها على المعنيين وتقواها كذلك وقلبه في الاعتبار السماء الدنيا التي نزل إليها القرآن مجموعاً فعاد فرقانا بحسب المخاطبين فليس حظ البصر منه حظ السمع وإنما قلنا نزل إلى قلبك دفعة واحدة فلسنا نعني أنك حفظته ووعيته فإن كلامنا إنما هو روحاني معنوي وإنما أعني أنه عندك ولا تعلم فإنه ليس من شرط السماء لمانزل إليها القرآن أن تحفظ نصه.

ثم إنه ينزل عليك نجوماً منك بكشف غطائك عنك وقد رأيت ذلك من نفسي في بدء أمري ورأيت هذا لشيخي أبي العباس العريني من غرب الأندلس من أهل العليا وسمعت ذلك عن جماعة من أهل طريقنا أنهم يحفظون القرآن أو آيات منه من غير تعليم معلم بالتعلم المعتاد ولكن يجده في قلبه ينطق بلغته العربية المكتوبة في المصاحف، إن كان أعجمياً روينا عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله قال عنه أبو موسى الديبلي أنه ما مات حتى استظهرا القرآن

من غير تلقين ملقن معتاد فأما كونه لا يزال ينزل على قلوب العباد لما قام الدليل على استحالة إقامة العرض زمانين وقام الدليل على استحالة انتقاله من محل إلى محل وإن حفظ زيد لا ينتقل إلى عمرو فعندما تسمع الأذن الملقن يلقي الآية عليها أنزلها الله على قلبه فوعاها فإن كان القلب في شغل عاد الملقن فعاد الإنزال فالقرآن لا يزال منزلاً أبداً فلو قال إنسان أنزل الله على القرآن لم يكذب فإن القرآن لا يزال يسافر إلى قلوب الحافظين له.

وما كون النبي ﷺ إذا جاءه جبريل بالقرآن بادر بقراءته قبل أن يقضي إليه وحيه وذلك لقوة كشفه فإنه كان يكشف على ما جاء به جبريل عليه السلام فيتلوه وتعجل به لسانه قبل أن يقضي إليه وحيه كما يكشف المكاشف عند ما يخطر لك في قلبك ويتكلم على خاطرك وهذا غير منكور عند أكثر الناس فذاك المحل به أليق لكن أدبه ربه فأحسن أدبه فقال: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤] فأمره أن يتأدب مع جبريل عليه السلام إذ هو معلمه الكلم الطيب بالعمل الصالح.

فصل

الإنسان الكلي على الحقيقة هو القرآن العزيز نزل من حضرة نفسه إلى حضرة موحده وهي الليلة المباركة لكونها غيباً والسماء الدنيا حجاب العزة الأحمى الأدنى إليه ثم جعل هناك فرقاناً ينزل نجوماً بحسب الحقائق الإلهية فإنها تعطي أحكامها مختلفة فيعرف الإنسان لذلك فلا يزال على قلبه من ربه نجوماً حتى يجتمع هناك ويترك الحجاب وراءه فيزول عن الأين والكون ويغيب عن الغيب فالقرآن المنزل حق كما سماه الله حقاً ولكل حق حقيقة وحقيقة القرآن الإنسان كما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ فقالت كان خلقه القرآن قال العلماء أرادت قوله تعالى فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤] فحقق هذا السفر تحمد عاقبته... الآيات.

سفر [...][1] الرؤية الله تعالى والإعتبار من

وقول الله تعالى ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ﴾ [الإسراء: ١].

سبحان من أسرى إليه بعبده ... ليرى الذي أخفاه من آياته
كحضوره في غيبه وكسكره ... في صحوه والمحو في إثباته
ويرى الذي عنه تكون سره ... في منعه إن شاءه وهباته
ويزيل ما أبدا له من جوده ... بوجوده والفقد من هيآته

(١) خرم في الأصل.

سبحانه من سيد ومهيمن　في ذاته وسماته وصفاته

قرن سبحانه التسبيح بهذا السفر الذي هو الإسراء ينفي بذلك عن قلب صاحب الوهم ومن تحكم عليه خياله من أهل الشبه والتجسيم ما يتخيله في حق الحق من الجهة والحد والمكان فلهذا قال: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١] فجعله مسافراً به ﷺ يعلم أن الأمر من عنده عز وجل هبة آلهية وعناية سبقت له مما لم يخطر بسره ولا اختلج في ضميره وجعله ليلاً تمكيناً لاختصاصه بمقام المحبة لأنه اتخذه حبيباً وأكده بقوله ليلاً مع أن الإسراء لا يكون في اللسان إلا ليلاً لا نهاراً لرفع الإشكال حتى لا يتخيل أنه أسرى بروحه ويزيل بذلك من خاطر من يعتقد من الناس أن الإسراء ربما يكون نهاراً فإن القرآن وإن كان نزل بلسان العرب فإنه خاطب به الناس أجمعين أصحاب اللسان وغيرهم والليل أحب زمان للمحبين لجمعهما فيه والخلوة بالحبيب متحققة بالليل ولتكون رؤية الآيات بالأنوار الإلهية خارجة عن العادة عند العرب بما لم تكن تعرفها فإن البصر لا يدرك شيئاً من المرئيات بنوره خاصة إلا الظلمة والنور الذي به يكشف الأشياء إذا كان حيث لا تغلب قوة نور البصر فإذا غلب حكمه مع نور البصر حكم الظلمة لا يرى سواه إذ كان البصر لا يدرك في الظلمة الشديدة سوى الظلمة فالبصر يرى بالنور المعتدل النور وما يظهر له النور من الأشياء المدكرة ولا فائدة عند السامع لو كان العروج به نهاراً في رؤية الآيات فإنه معلوم له فلهذا كان ليلاً.

وأتى أيضاً بقوله: ﴿لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] ليحقق أن الإسراء كان بجسده الشريف ﷺ فإن قوله أسرى يغني عن ذكر الليل قليلاً في موضع الحال من عبده كما قال.

يا راحلين إلى المختار من مضر　زرتم جسوماً وزرنا نحن أرواحاً

وأدخل الباء في قوله بعبده لأمرين في نظر المحققين من أهل الله الأمر الواحد من أجل المناسبة بين العبودية التي هي الذلة وبين حرف الخفض والكسر فإن كل ذليل منكسر وأضافه إلى الهو ولم يكن منها اسم ظاهر للحق إلا من الأسماء النواقص التي لا تتم إلا بصلة وعائد فأسرى بعبده صلته والعائد إليه المضمر غيب بلا شك وهو هنا مضمر فهو غيب في غيب فكأنه هو الهو كما يقول غيب الغيب فانبأ بشرف الإسراء.

وكذلك ذكر المسجدين الحرام والأقصى وهذا يناسب ما ذكرناه من باب العبد وحرف الخفض هي الباء والمسجد مفعل موضع سجود الرجل والسجود عبودية والحرام يقتضي المنع والحجر فهو يطلب العبودية والأقصى يقتضي البعد والعبودية في غاية البعد من صفات الربوبية فاختار سبحانه لنبيه الشرف الكامل بهذين الأمرين بأعلى ما يكون من صفات الخلق وليس إلا العبودية وما يشاكلها من حروف الخفض والمساجد والحرام والأقصى وكذلك مما

شرفه به في مقابلة هذه العبودية الكلية التي تعطي المعرفة التامة بأنه ما جعل له من أسمائه ما يقيده به لأن هذه العبودية المذكورة ههنا لا تقتضي تقييداً باسم إلهي من أسماء التأثير ولكن يطلب من الألوهة ما يشاكلها في الرفعة والتنزيه فإن العبد إذا رفع من جميع الوجود وأكرم نزهت عبوديته عن الصفات السيادية الربانية الإلهية فهو تنزيهها وإذا وصفت بأوصاف الربوبية شبهت وفي التشبيه هلاكها قال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٩].

وقال كذلك ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥] فكذلك الألوهة إذا كنى عنها في حق العبد بالأسماء التي تطلب وجود الخلق فليس ذلك بعلو ولا رفعة في حق العبد المخاطب بتلك الأسماء فإن فيها ضرباً مشابهاً بما تقتضيه العبودية من الافتقار إلى الأثر فكما في العبودية في هذا الإسراء حقها من جميع الوجوه كذلك وفي الألوهية حق ما يقتضي هذا الوفاء المنسوب إلى العبد فأتى بالهو وبهو الهو الذي هو غيب الغيب فلما نزل ﷺ من عبوديته إلى ما ذكرناه أسرى به إلى غيب الغيب الذي ذكرناه فمن هناك شاهد حيثية الحق أحداً فرداً فإن المحبة تقتضي الغيرة فلا يبقى للعبد أثر فإن العبد قادر وما عليه تحجير فما ظهر هنالك أصلاً اسم سوى هذا الهو ولما كان الوحي كان مسامرة لكونه ليلاً وأعلى مجالس الحديث المسامرة لأنها خلوة في خلوة وموضع إدلال وتقريب مصطفى وأما الآيات التي رآها فمنها في الآفاق ومنها في نفسه قال عز وجل: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣] وقال: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١] وقاب قوسين من آيات الآفاق حقق به مقام العبد من سيده وأدنى مقام المحبة والاختصاص بالهو ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١٠] مقام المسامرة وهو هو الهو غيب الغيب وأيده ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١] والفؤاد قلب القلب وللقلب رؤية وللفؤاد رؤية فرؤية القلب يدركها العمى إذا صدرت عن الحق بإيثار غيره بعد تقريبه إياها ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] والفؤاد لا يعمى لأنه لا يعرف الكون وماله تعلق إلا بسيده ولا يتعلق من سيده إلا بغيب الغيب وهو هو الهو لمناسبة المقامات والمراتب ولهذا قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١]فإنه قد يغلط البصر كثيراً وإن كان هذا عين الجهل من قائله فإنه لا يغلط إلا الحاكم لا ما يدركه الحواس فالذي يقول يغلط البصر لكونه يرى الأمر على خلاف ما هو عليه فيكذبه صاحبه فنفى عنه هذه الصفة لأن الكذب إنما يقع في عالم التشبيه والكثرة وهنا ليس ثم تشبيه أصلاً فإن العبد هنا عبد من جميع الوجوه فنره مطلق التنزيه في العبودية وكذلك غيب الغيب الذي هو هو الهو والآيات التي رآها في نفسه مشاكلته لهو الهوا بعبودية في غيب الغيب لعين قلب القلب الذي هو الفؤاد وما كان أحد يراها وآيات الآفاق ما ذكره عليه السلام مما رأى في النجوم والسموات والمعارج العلى والرفرف الأدنى وصريف الأقلام

والمستوى وما غشى الله به سدرة المنتهى وهذا كله حول هذا المقام المخصص بالعبد الذي أقيم فيه في غيب الغيب وقد نبه على هذا بقوله: ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١] ولم يذكر بركة المقام لأنه فوق الذكر لعدم التشبيه وهو مقام يتخطف الناس منه لعزته والمسجد الحرام للمسجد الأقصى كالجنة مع النار حفت الجنة بالمكاره أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمنا ويتخطف الناس من حوله وحفت النار بالشهوات إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله فبطن لظهر وظهر لبطن وينتج هذا السفر مشاهدة ما ذكرناه من غيب الغيب والكلام في هذا المقام يطول فنقبض العنان ويكفي هذا القدر من الإشارة التي أوردناها فيه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

سفر الإبتلاء وهو سفر الهبوط من علو إلى سفل ومن قرب إلى بعد فيما يظهر وكأنه مناقض للسفر الذي تقدمه وفيه ما فيه وإن لم يقو قوته

قال الله عز وجل يخاطب آدم وحوا ومن نزل معهما ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ﴾ [البقرة: ٣٨] وقد تكلمنا على سفر الأب الأول في الروحانيات وهو أبو آدم وأبو العالم وهو حقيقة محمد ﷺ وروحه فلنتكلم على سفر الأب الجسمي وهو أبو محمد ﷺ وأبو بني آدم كلهم خاصة فكل واحد منهما أب وابن لصاحبه من هذا الوجه، فاعلم وفقنا الله وإياك أن الله تعالى إذا أراد أن يحدث أمراً أشار إليه بعلامات لمن فهمها يتقدم على وجود الشيء تسمى مقدمات الكون يشعر بها أهل الشعور وكثيراً ما يطرأ هذا في الوجود في عالم الشهادة ولا سيما إذا ظهر في موضع ما لا يليق بذلك الموضع فإنه يخاف من ظهور ما يناسب ما ظهر وهذه الطيرة عند العرب والفال فما كان مما تحمده النفس كان فالا وما كان مما يكرهونه كان عندهم طيرة ولهذا أحب الشارع ﷺ الفال وهو الكلمة الحسنة وكره الطيرة أي كره أن يتطير بشيء والفال عند العرب خير والطيرة شر ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ﴾ [الأنبياء: ٣٥] ولا فاعل إلا الله وهو ﷺ يكره أن يتطير بما يجريه الله من المقدور فإن كراهة ذلك عدم احترام الألوهية والأولى أن يتلقى ما لا يوافق الغرض منهما بالحمد والتسليم والرضا والانقياد ورؤية ما دفع الله مما هو أعظم من الذي نزل كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في مثل هذا ما أصابني الله تعالى بمصيبة إلا رأيت أن لله علي فيها ثلاث نعم إحدى ذلك كونها لم تكن في ديني، الثانية كونها كانت ولم يكن ما هو أعظم منها، الثالثة ما لي فيها من الأجر وحط الخطايا فانظر إلى حضوره وحسن نظره فيما يبتليه الله به رضي الله عنه.

ولما كان الأمر هكذا جارياً عرفناه بحكم العادة والتجربة ولم يتقدم لآدم عليه السلام

عادة ولا تجربة لهذا الفن فلم يتفطن آدم عليه السلام كتحجير الله عليه الأكل من الشجرة وموطن الجنة لا يقتضي التحجير فإنه يأكل منها فيها ما يشاء ويتبوأ منها حيث يشاء فلما وقع التحجير في موطن لا يقتضي ذلك عرفنا أنه لا بد أن تظهر حقيقة ذلك الأثر وأنه يستنزل من عالم السعة والراحة إلى عالم الضيق والتكليف ولو عرفها آدم ما تهنأ زمان مقامه في الجنة ومن جملة ما نسب آدم إلى نفسه من الظلم في قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] حيث لم يتفطن لإشارتك بالتحجير والمنع في موطن التسريح والإباحة ولهذا نهى ولم يؤمر أمر إيجاب وكان حاملاً للمخالف من ولده في ظهره والطائع فاوقع المخالفة عن حركة المخالف فلما رماه من صلبه ما بلغنا أن آدم عليه السلام عصى ربه بعد ذلك أبداً وأفرد بالمعصية دون أهله في قوله: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ [طه: ١٢١] والنهي وقع عليهما والفعل وقع عنهما لأنها جزء منه فكأنها ماثم إلا هو ولأنه أقرب إلى الذكرى من حواء فنسي والمرأة أنسى من الرجل ولهذا قامت المرأتان في الشهادة مقام الرجل الواحد لأن الله تعالى يقول: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وذلك لأن المرأة شق من الرجل فامرأتان شقان وشقان نشأة كاملة فامرأتان رجل واحد فهي ناقصة الخلق معوجة في النشيء لأنها ضلع فأهدرت من اللفظ ولم تذكر وذكر آدم عليه السلام لنقيض ما ذكرناه في حواء ونسيان آدم عليه السلام إنما كان لما أخبره الله تعالى به من عداوة إبليس وما تخيل آدم عليه السلام أن أحداً يقسم بالله كاذباً فلما أقسم بالله أنه ناصح لهما فيما ذكره لهما تناولاً من الشجرة المنهي عنها وفي هذا تنبيه في أن الاجتهاد لا يسوغ مع وجود النص في المسألة وفي عداوة إبليس لحواء بشرى لها بالسعادة لأنها لو كانت من حزب الشيطان ما كان عدواً لها والذم تعلق بصورة الكسب لا بالفاعل المكتسب ولو تعلق الذم بالمكتسب لبغضنا العصاة ونحن إنما نكره منهم المعصية ولا تزال المعصية مكروهة أعني معصية الله وكذلك أيضاً لا تقع الكراهة منا على السبب المعصي به فإنه قد ينسخ تحريمه ويرجع حلالاً فتزول الكراهة فلو تعلق الذم به لعينه لم يزل مذموماً فتعلق الذم إنما هو لأمر دقيق خفي إضافي يكاد لا يثبت وكذلك الحمد فافهم، وتفطنت المعتزلة لسر في هذه المسألة فانتبهت له الأشاعرة وهو سر دقيق حسن فحقق النظر فيه تجد الذي عثرت عليه المعتزلة.

ثم نرجع ونقول فلما وقع ما وقع من آدم وحوا اهبطا إلى الأرض فهذا سفر في الظاهر من عنده وكذلك سفر إبليس من عنده فوجد إبليس في سفره الملك والراحة التي يؤل بها إلى الشقاء الدائم ووجد آدم المشقة والتعب والتكليف الذي يؤل به إلى السعادة وكان من علو سفره هذا أنه سافر من شهوة نفسه إلى معرفة عبوديته فإن الجنة لمجرد الشهوات لهذا

قال: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيَ أَنفُسُكُمْ﴾ [فصلت: ٣١] وأكمل له هنا لباسه فإنه كان في الجنة صاحب لباس واحد وهو الريش ولم يعرف طعماً للباس التقوى لأن الجنة ليست بمحل للتقوى لأنها نعيم كلها والتقوى يطلب ما يتقي منه فأذن فلا يكون في الجنة.

ولما لم يكن عنده عليه السلام لباس التقوى ووقع النهي لم يكن له علم بما يتقيه إذ التقوى من صفات هذه الدار وما عدا الجنة فلما نزل من الجنة أنزل عليه لباس سر النشأة ولباس التقوى ثم نهى وأمر وكلف فلم يتصور منه بعد ذلك مخالفة حماية هذا اللباس فصار نزوله إلى هذه الدار من تمام نشأته ومرتبته ثم رحلته إلى الجنة من كمال مرتبته ونفسه والدنيا دار تمام والآخرة دار كمال وليس بعد الكمال مطلب فما بعد الدار من دار أصلاً فأقام آدم عليه السلام في سفره هذا يقتني المعارف الكسبية من جهة التكليف التي لم يكن يحصل له دون التكليف وهذا إن الدنيا دار تمام للعبد واقتناء المعارف الفكرية التي لا تعطيها إلا الدنيا فإن نشأة الجنة كشف كلها واحد يقتني معارفة التدبير والتفصيل والحسن والأحسن والأولى والأحرى ومعرفة الترتيب ابتداء وهذا لا يكون إلا في الدنيا من أجل كثافة النشأة والبخارات المانعة من الكشف فيحتاج إلى قوة لا يكون له إلا بوجود هذه الموانع ولولاها لم تعطه فهذا من تمامه ولهذا قال سهل بن عبد الله ليس للعقل فائدة في الإنسان إلا ليدفع به الإنسان سلطان شهوته خاصة وإذا غلبت الشهوة بقي العقل لا حكم له.

ومما يؤيد ما ذكره سهل ما أطلعنا الله تعالى عليه عند كشف الأسرار فأرانا في أسرارنا بإلهامه الأنزه أن الملائكة في المعارف خلقت وكذلك الجمادات والنباتات والحيوان خلق في المعارف والشهوة ولهذا هو مع معرفته وشفقته من الساعة لا يرجع عن شهوته وشفقته من أجل ما يصير إليه مع ما نراه من المخالفة منا، رأى بعضهم رجلاً يضرب رأس حمار له فنهاه عن ذلك فقال له الحمار دعه فإنه على رأسه يضرب والإنسان خلق في المعارف الضرورية والشهوة والعقل فبعقله يرد شهوته ومما اقتناه آدم عليه السلام في معصيته وسفره من أسماء ربه ومن آثارها ومشاهدتها التي لم تكن قبل ذلك يعرفه وهو الغافر المغفرة وإن كان الغفور فمن أجل أن معصيته شديدة بالنسبة إلى مقامه يقتضي ما تقتضيه مائة ألف معصية من غيره مثلاً وهو سبحانه في حق هذا الغير غفور فقد يكون غفوراً في حق آدم من هذا الوجه وغافراً من كونها مخالفة واحدة وربما وقعت بتأويل منه ولو نسي النهي ما عوقب أصلاً وإنما نسي ما ذكرناه، وكذلك اقتناء الاجتباء والتوبة والاستغفار والعفو والخوف وإلا من الوارد عقيب الخوف فإنه أشد لذة من الاستصحاب وكذلك نتج له هذا السفر معرفة التركيب والإنشاء والتحليل فعرف من ذلك نشأة بنيته بتعاقب الأدوار شيئاً بعد شيء بخلاف تكوين الجنة فإنه دفعه في حق الناظر وإن الهم مصروف في الجنة لمجرد اللذة والنعيم والهم

في الدنيا مصروف إلى الزيادة من العلم والبحث عنه فلهذا يعرف من هنا ما لا يعرفه من هناك فينتج له سفره من مثل هذا كثيراً والأسفار كثيرة وأخاف من التطويل وهذا السفر من مثل هذا كثيراً والأسفار كثيرة وأخاف من التطويل وهذا السفر للآدمي يحوي على كثير يحتاج أن يفرد له ديوان كذلك كل سفر ذكرناه ونذكره في هذا الكتاب فالحق ما سكتنا عنه بما تكلمنا عليه ما يناسب ترشد إن شاء الله.

سفر إدريس عليه السلام

هو سفر العز والرفعة مكاناً ومكانة

قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم: ٥٦، ٥٧] ويقال إنه أول من كتب بالقلم من بني آدم فأول امداد القلم الأعلى له عليه السلام كان قد أسرى به إلى أن بلغ السماء السابعة فصارت السموات كلها في حورته.

واعلموا أن السموات كلها قد جعلها الله محلاً لعلوم الغيبية المتعلقة بما يحدث الله في العالم من الكائنات جوهرها وعرضها صغيرها وكبيرها وأحوالها وانتقالاتها وما من سماء إلا وفيه علم مودع بيد أمينها وأودع الله نزول ذلك الأمر إلى الأرض في حركات أفلاكها وحلول كواكبها في منازل الفلك الثامن وجعل لكواكب هذه السموات السبع اجتماعات وافتراقات وصعوداً وهبوطاً وجعل آثارها مختلفة وجعل منها ما يكون بينه وبين كواكب آخر مناسبة وجعل منها ما يكون بينه وبين كواكب أخر منافرة كلية وذلك أنه إذا أودع عند الواحد ضد ما أودعه عند الآخر كانت المنافرة لا أنهم أعداء وإنما ذلك لحقائق خلقهم الله تعالى عليها يقضي بذلك ويشغلهم بطاعة ربهم وتسبيحه لا يعصون الله ما أمرهم كما جاء في خلقه مالك خازن النار أنه ما ضحك قط بخلاف رضوان الذي خلق من سرور وفرح وكلاهما عبدان صالحان مطيعان ليس بينهما عداوة ولا شحناء غير أن الآثار هنا في العالم الأسفل تنبعث عن تلك الحقائق وعندنا أغراضنا قائمة فتقع بيننا التحاسد والعداوة والأصل من ذلك وأما عدم المنافرة بين المتناسبين منها فهو إن أوجد الواحد على خلاف ما أوجد الآخر لا على ضده فكل ضد خلاف وما كان خلاف ضد فإن وكيل السماء السابعة يضاد وكيل السماء السادسة حتى أن ما يعلمه صاحب السماء السادسة إذا صار وقت الحكم فيه للملك الموكل فيه في السماء السابعة أفسد ما أصلحه صاحب السماء السادسة كما يفعل أيضاً صاحب السادسة إذا أصلح ما يفسده صاحب السابعة وكل ملك ما عنده أنه يفسد وإنما يقول في فعله أنه أصلح من حيث إنه امتثل فيه أمر ربه وأدى ما أمن عليه وهو الأمر الذي ذكر الله تعالى أنه أوحى في السموات فقال عز من قائل: ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢] فإذا أنست بهذ القدر

وعلمت أنه لا يطعن في العقد وإلا فأية فائدة كانت في قول الله تعالى: ﴿وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٤] فبماذا سخرها يا أخي في هذا وأشباهه أليس الله قد سخر العالم بعضه لبعض فقال: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢] وقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجاثية: ١٣] فذكر أن في السماء أموراً مسخرة لنا مثل الأرض فلا يقدح في عقيدة مسلم كونه يعلم ما أوحى في السماء من أمرها وفيماذا سخرها عالمها ولو كان ذلك لأطرد في الأرض وفي السماء ونحن في كل زمان نهرب إلى الأسباب التي نصبها الله لنا وعرفنا بها على جهة أنها مسخرة لا على أنها فاعلة نعوذ بالله لا أشرك به أحداً وإنما كفر الشارع من اعتقد أن الفعل للكواكب لا لله وأن الله يفعل الأشياء بها هذا هو الكفر والشرك وأما من يراها مسخرة وأن الله أجراها حكمه فلا بل من جهة ما أودع الله فيها وما أوحى الله فيها من الأمور ورتب فيها من الحكم فقد فاته خير كثير وعلم كثير وماذا بعد الحق إلا الضلال.

واعلم أن إدريس عليه السلام لما علم أن الله تعالى بالعلم الذي أوحاه إليه قد ربط العالم بعضه ببعضه وسخر بعضه ورأى أن عالم الأركان مخصوص بالمولدات رأى اجتماعات الكواكب وافتراقها في المنازل واختلاف الكائنات واختلاف الحركات الفلكية ورأى السريعة والبطيئة وعرف أنه مهما جعل سيره وسفره مع البطيء أن السريع يدخل تحت حكمه فإن الحركة دورية لا خطية فلا بد أن يرجع عليه دور الصغير السريع فيعلم من مجاورة الهبط فائدة المسرع فلم ير ذلك إلا في السماء السابعة فأقام عندها ثلاثين سنة يدور معها في نطع فلك البروج في مركز تدوير وكيلها وفي الفلك الحامل لفلك التدوير والفلك الحامل لأفلاك التداوير هو الذي يدور به فلك البروج فلما عاين ما أوحى الله في السماء وعاين أن الكواكب قريبة الاجتماع من برج السرطان فعلم أنه لا بد أن يكون الله ينزل ماء عظيماً وطوفاً عاماً لما تحققه من العلم ومشى في دقائق الفلك فعلم الجمل والتفصيل.

ثم نزل فاختص من أبناء دينه وشرعه ممن عرف أن فيه ذكاء وفطنة فعلمهم ما شاهد وما أودع الله من الأسرار في هذا العلم العلوي وأنه من جملة ما أوحى الله في هذه السماوات أنه يكون طوفان عظيم ويهلك الناس وينسى العلم وأراد بقاء هذا العلم على من يأتي بعدهم فأمر بنقشها في الصخور والأحجار ثم رفعه الله المكان العلي فنزل بفلك الشمس وهو الفلك الرابع وسط الأفلاك السماوية وهو القلب، لأن فوقه خمس كور وتحته مثل ذلك فأعطاه الله في هذا السفر الذي رفعه به إليه مقام القطبية والثبات وجعل الأمر يدور عليه وعنده يجتمع الصاعد والنازل ونتج له هذا السفر علم الزمان والدهر وما يكون فيه وعلم الزمان من اسنى المعارف الموهوبة نتج له روحانية الليل والنهار وما سكن فيهما فمن سافر

إلى عالم قلبه كما سافر إدريس عاين الملكوت الأفخم وتجلى له الجبروت الأعظم وعاين سر الحياة الذي هو روحها والساري بها في جميع الحيوانات وفرق بين الروح الكثير والروح القليل وأعطى كل ذي حق حقه وعرف من كتب نقوشه السفلية ومراتب أرواحه العلوية وانبعاث الفروع من الأصول وانعطاف الفروع على الوصول وصورة الكون وحكمه الدور وما أشبه هذه المعارف ويكفي هذا القدر من سفر إدريس عليه السلام.

سفر النجاة وهو سفر نوح عليه السلام

لما عرف نوح عليه السلام أن القرآن الذي قدره الله وأجراه حكمه قد قرب وقته ورأى أن ذلك يكون في برج السرطان وهو مائي وهو البرج الذي خلق الله الدنيا به وهو منقلب غير ثابت ولما كان البرج بهذه الصفة فكان طالع الدنيا به شاء الحق بفنائها وانقلابها إلى الدار الآخرة مثل طالعها وهو الأسد برج ثابت وهذه حكمة عليم فأخذ نوح عليه السلام ينشيء السفينة ولم يكن آيته ﷺ في القرآن ولا في الطوفان فإنه ربما أدرك علم ذلك بعض أصحابه من العلماء فشورك فيه فجعل آيته التنور ولو قال بالقرآن لكان علماً لا علامة ولا آية ولهذا سخر به قومه وربما سخر به أصحاب علم التعاليم من أهل عصره حتى كان من أمره ما كان وخلف ابنه لكونه عملاً غير صالح فكان من المغرقين وسافر نوح بأصحابه وجعل في السفينة من كل زوجين اثنين وقال: ﴿ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود: ٤١] بعدما فار التنور وألقت الحاملات حملها فجمع له في الإهلاك بين المائين ماء الأرض وماء السماء ولم تزل تجري بهم السفينة في موج كالجبال ونوح عليه السلام ينادي ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ [هود: ٤٢] والابن ينادي ﴿سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٤٣] ونوح عليه السلام يقول ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣] وهم أهل السفينة فإن دعاءه ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] سبقت وأجيبت ففرق من آوى إلى الجبل وكل من لم يكن في السفينة ثم جاء النداء من الغيب من الهواء فإنه لم يذكر المنادي نفسه فيه وجاء بالقول دون النداء للقرب فبلعت الأرض ماءها وأقلعت السماء وانتقص الماء واستوت سفينة النجاة على الجودي إشارة إلى الجو الإلهي وقال هذا القول من هذا المقام ﴿بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤] وهم الذين سخروا فاعلم أن الله عز وجل انهى السر اللطيف الذي أقامه الحق في هذا المنزلة منزلة نبيه نوح عليه السلام قد سوى سفينتك وصنعها بيديه ووحيه وكانت عند وحيه بعينه يعني محفوظة بحيث أراها يقول الله تعالى فمن أنت حتى ينزل الحق لك هذا النزول ولا سيما من مقام الإنابة.

ثم إن نفسك الأمارة بالسوء وشيطانك ودنياك وهواك لم يزالوا يسخرون بك ما دمت

تنشيء هذه السفينة نشأة النجاة والتنور محل النار إلى جانبك يقول لهم منه يخرج الماء وهم قد تحققوا أن المقابل من جميع الوجوه لا يستحيل لمقابله أصلاً فسخروا وقالوا إنك ناقص العقل فما فرقوا بين محل النار والماء وذلك لجهلهم بجوهر العالم وصوره فلو علموا أن النار صورة في الجوهر والماء أيضاً صورة في الجوهر لما سخروا.

وإنما تخيلوا أن الماء جوهر وإن النار جوهر ثم تقابلا تقابلاً فأحالوا ما قال وسخروا منه وأنت مشتغل بإنشاء سفينتك أي سفينة نجاتك واستعدادك لأمر الله تعالى عن أمر الله وهو الأنا فقل للساخرين إنهم إن هلكوا في شيء فهم لما هلكوا فيه لا يخرجون منه أبداً وزيادة فاركب في سفينتك بالباء التي هي اسم الله وأقم ألف التوحيد بين الباء وسين باسم فإنك لا ترى في هذه الرحمٰن الرحيم فنحن نتخلف عن سفينتك فإن جريانها بالباء وهي الحافظة وبالباء مرساها بساحل الجود الإلهي فإن بالجود ظهر الوجود فظهر بالجودي ما كان في السفينة وألق في سفينتك من كل زوجين اثنين للتوالد والتناسل فإن تضرب العالم العلوي في العالم السفلي تتكون أنت والمولدات كلها فلا بد من تحصيل الزوجين في هذا السفر فإنه سفر هلاك.

ولما كان الماء يماثل العلم في كون الحياة عنهما حساً ومعنى لهذا أهلكوا بالماء لردهم العلم وكان من التنور لأنهم ما كفروا إلا بماء التنور وما ردوا إلا العلم الذي شافههم به على لسان تنور جسمه وما علموا أنه مترجم عن معناه الذي هو النور المطلق فانحجبوا بماء التنور عن التنور وما علموا أنه النور دخلت عليه تاء تمام النشأة بوجود الجسم فعاد تنوراً أي نوراً تام الملك فهو نور النار مظهره.

وأما إحالة الاستحالة فصحبهم فيما جهل وذلك لو أنهم نظروا إلى التنور لرأوه ينبع الماء منه وليس بينهما تقابل من جميع الوجوه فإن البرودة جامعة فقد جهلوا سر الله في الطبيعة وسر الله في اختصاص التنور فهلكوا وما هلك كل من شافهه بالخطاب إلا بماء التنور خاصة لأنهم ما ردوا سواه وسائر العالم إنما أهلك بماء التنور وماء السماء، وماء السماء فهو ماء الدولاب الدائر فإنه مقطر في إنبيق الزمهرير وأنه عاد إلى مأمنه انتشار، وإهلاك الله عز وجل بالنار لكن هنا واسطة الرسالة فأدرج النار في الماء لما لم يكشف عن الساق فأخرج النار الرطوبات والبخارات وأخذ علواً وقد عاد النار بخاراً وأخذ في الجو أخذ الدولاب إذا خرج من الماء فما زال يصعد حتى بلغ دائرة الزمهرير فتقاطر مطراً بتقدير العزيز العليم فليست إلا دوائر التقدير في كرة الإنشاء لا تزال أبداً في الدنيا ولا في الآخرة فنتج هذا السفر وقف الحكمة الإلهية مع القدرة النافذة في التناسل على الزوجين ونتج له أن الإلهية إذا لم تكن علوية فليست بصحيحة النسب عليه ونتج له أن الجود علة تكون النجاة، ألا ترى أن

موسى عليه السلام لما أراد أن يدعو على قومه بالهلاك دعا عليهم بالبخل فلما بخلوا هلكوا وتبين أن كل كون في العالم لا بد أن يتوجه عليه القول فتارة يغيب الغيب إذا جاء القول على بناء ما لم يسم فاعله مثل وجيء يومئذ بجهنم وقيل بعداً وقيل يا أرض ابلعي ماءك وتارة بالأنا كقوله إذا قلنا وتارة بالألوهية مثل قال الله وتارة بالربوبية مثل قال ربك فكل قول بحسب الاسم الذي يضاف إليه فمن سافر سفر نوح فإنه سيعرف من العلوم البرزخية والكونية شيئاً، وفي هذا السفر يتعلم الصنعة ولهذا أخرها الجود فإنها من أجل الجود وجدت ويكفي هذا القدر من سفر نوح فإن سره يطول.

سفر الهداية وهو سفر إبراهيم الخليل عليه السلام

﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩] فأضافه بفداء ابنه لما نزل عليه لأن اللذة إنما تعظم على قدر الغصة ثم إنه لما بشر في إجابة دعائه في قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۝١٠٠﴾ [الصافات: ١٠٠] ابتلي فيما بشر به لأنه سأل من الله سواه والله غيور فابتلاه بذبحه وهو أشد عليه من ابتلائه بنفسه.

وذلك أنه ليس له في نفسه منازع سوى نفسه فبأدنى خاطر يردها فيقل جهاده وابتلاءه بذبح ابنه ليس كذلك لكثرة المنازعين فيه فيكون جهاده أقوى ولما ابتلي بذبح ما سأله من ربه وتحقق نسبة الابتلاء وصار بحكم الواقعة فكأنه قد ذبح وإن كان حياً بشر بإسحاق عليه السلام من غير سؤال فجمع له بين الفداء وبين البدل مع بقاء المبدل منه فجمع له بين الكسب والوهب فالذبح مكسوب من جهة السؤال وموهوب من جهة الفداء فإن فداءه لم يكن مسؤولاً وإسحاق موهوب.

ولما كان إسماعيل قد جمع له بين الكسب والوهب في العطاء فكان مكسوباً موهوباً لأبيه فكانت حقيقة كاملة لذلك كان محمد ﷺ في صلبه بل لكون محمد ﷺ في صلبه صح الكمال والتمام لإسماعيل فكانت في شريعتنا ضحايانا فداء لنا من النار فمن طلب سفر الهداية من الله فليتحقق عالم خياله، فإن الحقائق لا بد أن تنزل عليه فيه وهو منزل صعب لأنه معبر ليس مطلوباً لنفسه وإنما هو مطلوب لما قصب له ولا يعبره إلا رجل ولهذا سمى تأويل الرؤيا عبارة لأن المفسر يعبر منها إلى ما جاءت له كما عبر النبي ﷺ من القيد إلى الثبات في الدين ومن اللبن إلى العلم.

فإذا وصل وجد فلو عبر الخليل عليه السلام من ابنه إلى الكبش لرأى الفداء قبل حصوله وكان يمتثل الأمر فارغ القلب لمعرفته بالمآل ولكن ظلمة الطلب والسؤال من ربه غير

ربه منعه من العبور لأن الظلمة يتعذر العبور فيها لأنه لا يدري أين يضع قدمه ولم تكن أيضاً تحصل له تلك اللذة التي حصلت له ولا ذاك الامتنان الإلهي المشهود وكان الفداء بالحمل الذي هو بيت شرف الوسط وروح العالم لأنه أشرف البيوت فكان بدلاً من جسده لا من روحه لاشتراكهما في النسبة فإن الذبح لا يقع إلا في الجسم والهدم والخراب لا يقع إلا في البيوت.

فإذا سافر الإنسان في عالم خياله جازه إلى عالم الحقائق فرأى الأشياء على ما هي عليه وحصل له الوهب المطلق الذي لا يتقيد بكسب وصار يأكل من فوقه بعدما كان يأكل من تحت رجله ولما كان الوهب يبقيك بخلاف المشاهدة كان سحقاً ولم يكن محقاً فإن المسحوق مفرق الأجزاء فهو أبعد من حال المحق ولولا ما علق السؤال أولاً بقوله: ﴿هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠] لكانت البشرى بالمشاهدة لا بإسحاق فإسحاق إسحاق السائل بسؤاله الكون من محق العين أي أبعده وكانت إشارة إلى مقام البعد المحال فإن الأمور الإلهية لا تنزل أبداً إلا بحسب الاستعداد والمحل هنا غير منجرد إليه فكيف بهبة العين وهو غير قابل والواهب عليم حكيم والوقت قاض والابن من عالم التبديل.

سفر الإقبال وعدم الالتفات

من سفر لوط إلى إبرهيم الخليل عليه السلام

واجتماعه به في اليقين

الخبر المروي في ذلك معلوم محفوظ عند العلماء وروحه فينا هو المطلوب لنا في الاعتبار.

اعلم أن اسم لوط أعني هذه اللفظة اسم شريف جليل القدر لأنه يعطي اللصوق بالحضرة الإلهية ولهذا قال: ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] يريد القبيلة لأني لا أستطيع الانتقال من الركن الإلهي إلى الركن الكوني وقد شهد له رسول الله ﷺ بذلك فقال «يرحم الله أخي لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد» فنعم الشاهد والمشهود له فلاستناده إليه ولصوقه به في علم الله سمى لوطاً لم يضف إلى غيره وجعل له السري لأنه سفر في الغيب إذ لفظ السري لا يطلق الأعلى سير الليل ففي الاعتبار لا في التفسير قيل له أسر باهلك أي بجميع ذاتك فشاهد الحقائق كلها إلا امرأتك فاعتبرناها فينا الأمر بترك نفسه الأمارة بالسوء التي لاحظ لها في المعارج العلى المعنوية ويسار إلى اليقين وهو موضع معروف سمي بهذا الاسم وفيه كان ينتظره إبراهيم الخليل عليه السلام لأنه موطنه ولهذا قال ﷺ «نحن أولى بالشك من إبراهيم» في اليقين فحصل ذلك المقام للنبي لوط عليه السلام وفي الصبح جاء

اليقين له لأنه طلوع الشمس وكشف الأشياء عيناً بعدما كانت غيباً فأعطت اليقين بلا شك ولا ريب.

فهذا أنموذج من ذلك أي حظنا من سفر لوط وكذلك كل سفر أتكلم فيه إنما أتكلم فيه في ذاتي لا أقصد التفسير تفسير القصة الواقعة في حقهم، وإنما هذه الأسفار قناطر وجسور موضوعة نعبر عليها إلى ذواتنا وأحوالنا المختصة بنا فإن فيها منفعتنا إذ كان الله نصبها معبراً لنا ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠] وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى فما أبلغ قوله تعالى وجاءك في هذه الحق وقوله، وذكرى لما فيك وما عندك بما نسيته فيكون هذا الذي قصصته عليك يذكرك بما فيك وما نبهتك عليه فتعلم أنك على كل شيء وفي كل شيء ومن كل شيء.

شعر

فإني وإن كنت من كل شيء ... فإني مع الحق في كل شيء
فإني ظل به ظاهر ... وإن كنت ظلا فإني لفي
فعين هبوطي صعودي إليه ... بسعد السعود لدى كل حي
فقد زاد رشدي على كل رشد ... كما زاد غيي على كل غي
كما هو مع كل ميت وحي ... كذا هو في كل نشر وطي

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

سفر المكر والابتلاء

في ذكر يعقوب ويوسف عليهما السلام

اعلم أنه إذا أكرم الله عبداً سافر به في عبوديته يقول عز وجل: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] فما سماه إلا بأشرف أسمائه عنده لأنه ما تحسن عبد بحسن أحسن ولا أزين من حسن عبوديته لأن الربوبية لا تخلع زينتها إلا على المتحققين بمقام العبودية.

يا مشبهاً يوسف في حسنه ... رفقاً على مشبه يعقوب
إنه له صبراً على نائكم ... يقصر عنه صبر أيوب
لولا لحوق النقص قلنا رضي ... وأنه ليس بمطلوبي
وإنما مطلبي منه الذي ... يعلمه فذاك مرغوبي
فالأمر ما بيني وبين الذي ... اسأله الوصل بمحبوبي

واعلم أن الذين تحققوا مقام العبودة تعرض لصاحبه للبلاء ثم إن من شأن هذا الموطن أنه لا يكمل فيه عز لأحد ولا راحة ولما وهب الله عز الحسن يوسف عليه السلام ابتلي بذل الرق ومع ذلك الحسن العالي الذي لا يقاومه شيء بيع بثمن بخس دراهم معدودة من ثلاثة دراهم إلى عشرة لا غير وذلك مبالغة في الذلة تقاوم مبالغته عزة الحسن.

ثم سلب الرحمة من قلوب الإخوة، والحسن مرحوم أبداً بكل وجه فظهر أن الأمر الإلهي لم يكن بيد الخلق منه شيء سوى التصريف تحت القهر فزال بهذا الذل العظيم عن ذلك الحسن العرضي فبقي في سفره طيب النفس عزيزاً بالعزة الإلهية لا غير والقصة معروفة فلا معنى لذكرها في عالمها ولكن الفائدة في ذكرها في عالمنا أعني العالم الإنساني في نفسه فاعلم أن الله تعالى لما أراد من النفس المؤمنة أن تسافر إليه اشتراها من إخوتها الأمارة واللوامة بثمن بخس من عرض العاجلة وحال بينها وبين العقل الذي هو أبوها فبقي العقل حزيناً لا تفتر له دمعة فإن الإلهام الإلهي والامداد الرباني إنما كان لهذا النفس وكان العقل يتنزه في الحضرة الإلهية بوجود هذه النفس فلما حيل بينه وبينها لم يزل يبكي حتى كف بصره وذلك أن البصر وإن لم يكن مكفوفاً صاحبه فإن الظلمة إذا تكاثفت وحجبت المبصرات صار صاحب البصر أعمى، وإن كان البصر موجوداً يبصر به الظلمة ولما كان الحزن ناراً والنار تعطي الضوء لذلك قيل: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ [يوسف: ٨٤] فجاء بالبياض فإن البياض لون جسماني كما أن الضوء نور روحاني.

ثم إنه لما وقع البيع وحصل في الملك قيل للمرأة التي هي عبارة عن النفس الكلي ﴿أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ﴾ [يوسف: ٢١] فمن كرامتها به أن وهبت نفسها له ورأته النفوس الجزئية خارجاً عنها فقالت: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١] لما رأته من تقديسه نفسه عن الشهوات الطبيعية وهذا مما يدلك على عصمته من أن يهم بسوء فإن الملك ليس من السوء في شيء ولهذا صوبت النفس الكلي قولهم لها فاستعصم ولئن لم يفعل لأسجننه فعندما همّ بها ليأخذ منها ما أودع الله من الحقائق فيها من غير أمر إلهي له بذلك غار الحق أن يتصرف عبده في شيء من غير أمره فأظهر له في سره برهان عبوديته فتذكر عبوديته فامتنع من التصريف بغير أمر سيده فحبسته النفس في سجن هيكله فلم يزل يناجي في سره سيده بالعبودة حتى أقرت النفس أنها الطالبة لا هو فأثبت له السيد الحفظ والأمانة ولو همّ بسوء لم يكن أميناً ولو فعل لم يكن حفيظاً ولهذا قال: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ [يوسف: ٢٤] والهمُّ بالسوء من السوء وهو مصروف عنه أعني السوء فلم يكن يهم بسوء فولاه الملك والسيادة بدلاً من العبودية الكونية الظاهرة التي كان فيها قبل ذلك.

ثم أجدب محل العقل الذي هو الأب وسمع بالرخاء الذي في مدينة ابنه وهو لا يعلم أنه ابنه لأنه أعمى فبعث إليه بالرحم المتصلة لينيله شيئاً مما أمن عليه فبعث إليه بثوبه الذي فيه رائحته وهو على صورته فلما استنشق الرائحة وألقاه على وجهه أبصر قميصه فأخذ في الرحلة إليه ابتداء في عز يناقض سفر ابنه فلما دخل عليه سجد لأنه معلمه الذي يهبه من الله ما تقوم به ذاته ويتنعم به وجوده فقد تبين أن النفس هنا بمنزلة يوسف بوجوه.

أحدها: ما ذكرناه من وقوع البيع والشراء ومنها قوله: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ [يوسف: ١٠١] والملك فيه المطيع والعاصي والموافق والمخالف وفي النفس قيل: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٨].

ومنها أيضاً قوله: ﴿وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١] وقال: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ والرؤيا إنما تكون من عالم الخيال وهو العالم الوسط وهو بين عالم العقل وعالم الحس وكذلك النفس بين عالم العقل وعالم الحس فتارة تأخذ من عقلها وتارة تأخذ من حسها هكذا ولهذا دفعت المرأة لغلبة الأنوثة وإن كان تأنيثها غير حقيقي مع ذلك الحس فلو كانت الذكورية غالبة لم تدفع للنفس من أجل المودة والرحمة التي يسكن بها الذكر للأنثى والأنثى للذكر بخلاف الأنثى للأنثى والذكر للذكر فإن المودة لا تثبت بينهما ولولا الشبه الذي ظهر في الغلمان بالإناث ما حن إليهم أحد فالحنان إنما وقع على الحقيقة للأنثى أما بالحقيقة أو بالشبه ولهذا إذا بقل وجه الغلام وطر شاربه رحلت المودة والرحمة التي كانت توجب السكون إليه ولهذا قيل:

وقالوا العذار جناح الهوى ... إذا ما استوى طار عن وكره

هذا البيت أنشدنيه قائلة وهو الكاتب الأديب أبو عمرو بن مهيب بإشبيلية عمله في حمو بن إبراهيم بن أبي بكر الهدنجي وكان أجمل أهل زمانه رأه عندنا زائراً وقد خط عذاره فقلت له يا أبا عمرو أما ترى إلى هذا الحسن الوجه فعمل الأبيات في ذلك وهي:

وقالوا العذار جناح الهوى ... إذا ما استوى طار عن وكره

وليس كذاك فخيرهم ... قياماً لعذري أو عذره

إذا كمل الحسن في وجنة ... فخاتمه ويك من شعره

وقد ورد أن في وجوه الغلمان لمحات من الحور العين فيا أيتها النفس المنيعة احذري في سفرك أن تغفلي عما يجب عليك لسيدك من الوقوف عند حدوده والحفظ لحرمه فإنك إذا فعلت ذلك سينيلك حرمته بحرمته ويهبك نعمته بنعمته.

سفر الميقات الإلهي لموسى عليه السلام

يقول الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ [الأعراف: ١٤٣] الآية.

وأبرح ما يكون الشوق يوماً   إذا دنت الديار من الديار

اعلم أن العبد إذا كان عبداً حقيقة ووفى الجناب الإلهي السيادي ما يستحقه من الأدب والخدمة وكان معه أبداً على قدم الحذر والمراقبة لأنفاسه لعلمه بأنه يعلم السر وأخفى فلا يطمع في شيء منه البتة فلا يزال جامداً لا تقوم به حركة عن موطن عبوديته ولا شوق إلى منحه من منح سيده فكيف إلى مجالسته أو محادثته أو مسامرته غير أن الشوق كامن في فطرة العبد بما هو إنسان كالنار في الحجر.

النار في احجارها مخبوة   لا تصطلي ما لم يثرها الأزند

فلا يظهر إلا بشيء غريب زائد على ذاته فإن وعد السيد عبده لمحادثته أو مجالسته ثار الشوق الكامن بين ضلوعه وحن إلى وعد ربه لكن لا يدري متى يفجأه الوعد لكونه غير مربوط بحد وأجل فإن كان الوعد بضرب ميقات هاج الشوق وعظم غليانه لانقضاء المدة فأعطى العجلة عند العبد وهو قوله: ﴿۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾ [طه: ٨٣] وكان معذوراً فقال: ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾ [طه: ٨٤].

ثم إن المواقيت لما كانت آجالاً كان حكمها حكم الآجال وحكم الآجال كما قد سمعت في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى﴾ [الأنعام: ٢] كذلك قال: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ﴾ [الأعراف: ١٤٢]فهذا ميقات ثم قال: ﴿وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾ [الأعراف: ١٤٢] وهذا الميقات المضروب ميقات غيب لأنه ليلى إذ كان الأمر الذي أجله ضرب الميقات غيباً أيضاً فإن المدلولات أبداً تطابق أدلتها فلما تعينت المدة بالثلاثين ولم يخوفه أولاً بالأربعين لئلا يطول عليه أو يحدس في سره بذكر الأربعين التي هي أربع من العقد.

إن ذلك إشارة إلى انقضاء هيكله المربع فيعظم أسفه ولا يقل وأين الأربعون من الأربعة فاعلم أن هذا الهيكل إنما قام من الأربعة المركبة وهي الأربعون والأربعة لا تركيب فيها فإنها بسائط ولكن هي أصل الأربعين فكذلك هذا الهيكل لم يقم من البسائط الأربعة التي هي الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة وإنما قام من المركبة التي هي السوداء والصفراء والبلغم والدم وكل واحدة من هذه مركبة من حرارة ويبوسة كالصفراء وحرارة ورطوبة كالدم وبرودة ويبوسة كالسوداء وبرودة ورطوبة كالبلغم فكان الوعد المسمى بالأربعين عنده وجاء الذكر بالثلاثين لما ذكرناه ولم يكن المراد بالأربعين إلا هذا أو مثله مما يطابقه فإن الأمر الحاصل بعد الميقات لا يبقى رسماً للعبد عند العبد فإن كانت محادثة فالعبد إذن كله وإن

كانت مشاهدة فالعبد عين كله فقد زال عن حكم ما تقتضيه ذاته مع أنه تقتضيه ذاته ولكن لا لعينها ولم يكن قبل ذلك ذاق هذا المقام ولا شاهد هذه الحال فبالضرورة كان يبعد عنده ولذلك قال:

إذا ما تجلى لي فكلي نواظر وإن هو ناداني فكلي مسامع

فلما أكمل الثلاثين وهو الميقات الأول حركه بالتطهير لإظهار تمام الميقات فاستاك فأتم الميقات من أجل السواك ولوأتمه من غير أن يجعل تمامه مشعراً بعقوبة لحزن موسى عليه السلام وظن أنه أيضاً يعده العشر بعد آخر فلما جعل لذلك سبباً وهو تطهير الفم لجأ إلى التحفظ فلم يتحرك في شيء من غير أمر إلهي وأيضاً لما أوقع التقديس خرج عن عبوديته والحضرة الإلهية لا تقبل إلا العبد والعبد ليست له القدوسية فغارت أن يدخل عليها المنازع لها في صفتها من التقديس ولا سيما بغير أمر إلهي فإن العزيز لا يراه ذو عزة وإنما يراه الذليل لأنها ما تجد ما يمنحه فالعزيز إذا دخل على العزيز ليس له ما يمنحه إلا العزة وبها دخل عليه فما يمنحه فلا سبيل إلى دخوله عليه إلا بما تقتضيه حقائق العبودية فلهذا أيضاً أتم له عشراً ليزول عنه التقديس الذي ابتغاه وهذه كلها أسباب إلهية وضعها الحق في العالم لإظهار حكمته في كونه فإذا تم الميقات وتحرر العبد بتمامه من رق الأوقات ولم يبق عبداً إلا له تعالى وفاه وعده فناجاه وكلمه فبعد أن وفاه الوعد حظه وقدس سمعه ولفظه وأعطاه الكلام الكل كما أعطاه السمع الكل فإنه كما كان أذناً كله عند سماعه كان لساناً كله عند مراجعته فعرف ذوقاً ومشاهدة عين أن الكل يقبل الكل وأنه واحد في كل حضرة يتميز فهذا سفر غيبي معنوي زماني ظهر في اللسان المحمدي بقوله، من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، فيسمع أولاً قلبه ثم ينطق لسانه بما وعاه سمع قلبه ولكن صاحب هذا السفر لا بد أن يخلف في قومه من ينوب منابه.

وقد ذكرنا المسافر فانظر أنت يا أخي في النائب حتى يكون لك في المسألة مدخل بوجه ما وعند التجلي يكون سفر الجبال منهزمة أمام جلال المتجلي إذ لا طاقة للجبال على مشاهدة الغيب أصلاً ولهذا قال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] هذا مع التنزل فكيف مع سماع الكلام برفع الوسائط فكيف الرؤية فتحقق هذا الفصل تشهد علماً كثيراً.

سفر الرضا وهو قوله عز وجل

عن موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤] حين قال له: ﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾ [طه: ٨٣].

عجلت إلى ربي ليرضى لسرعتي فلما وصلنا قال لم عجل العبد
فقلت له الوعد الكريم أتى بنا إليك ولكن ما أرى صدق الوعد
فقال لي الرحمن كمل شروطه كما قد أمرتم فانتفى القرب والبعد

ومن ذلك

إن الرضا هو أصلي الذي خلقت عليه
وحدي ولم أر غيري يؤول فيه إليه

مواهب الله لا نهاية لها فما لها آخر ترجع إليه فتنقضي والعبد ما توفي فيما كلفه الله وسعه ولاحق استطاعته. فصح وثبت رضي الله عنهم فيما أتوا به من الأعمال ورضوا عنه ورضوا بما وهبهم مما عنده مما لا يتناهى كثرة فرضي الله عنهم ورضوا عنه فالرضا من صفات الحق والرضا من صفات الخلق بما ينبغي للحق وبما يليق بالمخلوق وإن كان لا يستغني عن الابتداء الإلهي لأنه فقير بالذات محتاج على الدوام لبقاء وجوده وإبقائه عليه وفي رضائي عنه رضاه عني وأنا حكيم وقتي عليّ يدور الوجود ويخدمني.

إن الحكيم الذي الأكوان تخدمه لأنه ينزل الأشيا منازلها
يبدو إلى كل ذي عين بصورته ولا يقول بأن الحق نازلها
فإن تبدت إلى عيني حقيقته يكون كوني بلا شك منازلها

واعلم أن الإنسان إذا جهل حاله جهل وقته ومن جهل وقته جهل نفسه ومن جهل نفسه جهل ربه فإن رسول الله ﷺ يقول «من عرف نفسه عرف ربه»، إما بالنقيض كالمعرفة العامة وإما بالصورة كالمعرفة الخاصة وهي التي عول عليها أهل الخصوص من الجماعة ونحن وإن كنا نقول بذلك فمعرفة العامة عندنا أرجح، فإنها الجامعة بين الإبتداء والانتهاء وإليها الرجوع ولا بد عامة وخاصة فاعلم ذلك، وكن على بصيرة من أمرك في ذلك وعلى سنة من ربك عسى يتلوك شاهد منك فتكون سعادتك به إن شاء الله فتكون ممن سبقت له الحسنى من الله جل ثناؤه وعز جلاله ولما قال الله عز وجل لموسى عليه السلام: ﴿۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾ [طه: ٨٣] أضرب موسى عليه السلام عن الجواب وجوابه أن يقول أعجلني كذا وكذا ويبين فقال: ﴿هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ يشير إلى حكم الاتباع ثم ذكر عجلته فقال: ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾ [طه: ٨٤] إني سارعت إلى إجابة دعائك حين دعوتني وقومي على أثري فقال الله عز وجل: ﴿فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ﴾ [طه: ٨٥] أي اختبرناهم وأضلهم السامري بالعجل الذي قال لهم هو في شأنه ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٨] وسبب ذلك أنه لما مشى مع موسى عليه السلام كشف الله عن بصره حتى أبصر الملك الذي

هو على صورة الثور من حملة العرش فتخيل إله موسى الذي يكلمه فأخرج لهم العجل وكان قد عرف جبرئيل حين جاءه وأنه لا يمر بشيء إلا حيي بمروره فقبض قبضته من أثر فرس جبريل ورمى بها في العجل فحيي العجل وخار لأنه عجل والخوار صوت البقر وقال لهم هذا إلهكم وإله موسى ونسي السامري إذا سأله عابدوه أنه لا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً فقال لهم هارون: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي﴾ [طه: ٩٠] فقال لهم ما ذكر الله في كتابه عنه أنه خاطبهم به.

سفر الغضب والرجوع

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ [الأعراف: ١٥٠].

غضبت على نفسي لنفسي فلم أجد سواه فقلت الذنب للمتقدم
فما زلت مسروراً وما زلت فارعاً لما كان مني فيه سر التندم
فلو كنت حقاً لم أكن واحداً به ولو كنت خلقاً لم أقل بالتقدم

غضبان على قومه أسفاً عليهم لما فعلوه من اتخاذهم العجل إلهاً وإنما كان عجلاً لأن السامري لما مشى مع موسى عليه السلام في السبعين الذين مشوا معه كشف الله عنه غطاء بصره فما وقعت عينه إلا على الملك الذي على صورة الثور وهو من حملة العرش لأنهم أربعة واحد على صورة أسد وآخر على صورة نسر وآخر على صورة ثور ورابع على صورة إنسان فلما أبصر السامري الثور تخيل أنه إله موسى الذي يكلمه فصور لهم العجل وقال هذا إلهكم وإله موسى وصاغه من حليهم ليتبع قلوبهم أموالهم لعلمه أن المال حبه منوط بالقلب وعلم أن حب المال يحجبهم أن ينظروا فيه هل يضرا وينفع أو يرد عليهم قولاً إذا سألوه.

وقال لهم هارون يا قوم إنما فتنتم أي أخبرتم به لتقوم الحجة لله عليكم إذا سألتم وإن ربكم الرحمٰن ومن رحمته بكم أنه أمهلكم ورزقكم مع كونكم اتخذتم إلٰهاً تعبدونه غيره سبحانه ثم قال لهم فاتبعوني لما علم أن في اتباعهم إياه الخير وأطيعوا أمري لكون موسى عليه السلام أقامه فيهم نائباً عنه فقالوا لن نبرح عليه يريدون عبادة العجل عاكفين أي ملازمين حتى يرجع إلينا موسى الذي بعث إلينا وأمرنا بالإيمان به فحجبهم هذا النظر أن ينظروا فيما أمرهم به هارون عليه السلام فلما رجع موسى إلى قومه وجدهم قد فعلوا ما فعلوا فألقى الألواح من يده وأخذ برأس أخيه يجره إليه عقوبة له بتأنيه في قومه فناداه هارون عليه السلام بأمه فإنها محل الشفقة والحنان: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ﴾ [طه: ٩٤] ولقد خشيت لما وقع ما وقع من قومك أن تلومني على ذلك: ﴿بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤] أي تلزم قولي الذي أوصيتك به.

ثم رد وجهه إلى السامري فقال له فما خطبك أي ما حديثك يا سامري فقال له السامري ما رآه من صورة الثور الذي هو أحد حملة العرش فظن أنه إله موسى الذي يكلمه فلذلك صنعت لهم العجل وعلمت أن جبريل ما يمر بموضع إلا حيي به لأنه روح فلذلك قبضت من أثره لعلمه بتلك القبضة فنبذتها في العجل فخار فما فعل السامري إلا عن تأويل فضل وأضل فإنه ما كان تأويل يصيب مع علمه أن التجلي في الضوء جاءت به الشرائع مع التنزيه.

فقبل موسى حذر أخيه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف: ١٥١] وأما الذين عبدوا العجل فما اعطوا النظر الفكري حقه للاحتمال الداخل في القصة فما عذرهم الحق ولا وفى عابدوه النظر في ذلك، فثبت بهذه الآية النظر العقلي في الإلهيات حتى يرد الشرع بما يرد في ذلك، وأما الذلة التي نالت بني إسرائيل فمشهودة إلى اليوم ما أقام الله لهم علماً وما زالوا أذلاء في كل زمان وفي كل ملة وجعل الله ذلك جزاء المفتري على الله حيث نسب إليه من غير ورود شرع ما لا يليق في النظر الفكري أن يكون عليه الآله المعبود من الصفات والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

سفر السعي على العائلة

لقد فزت بالسعي الجميل على أهلي بربي فجلى لي العناية في شغلي
فلولاهم ما كنت عبداً مقرباً ولا كنت من أهل السيادة والفضل
ولا سلكت نفسي إذا ما زجرتها عن الشغل بالأكوان في أقوم السبل
وكنت من المختار في ظل عرشه إذا كانت الأنصار تأتي مع الرسل

قال الله تعالى: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [طه: ١٠] فانظر ما أعجب قوة النبوة لأنه وجد الهدى وهذا يدلك على أنه ما قطع فيما أبصر أنه نار ولا بد وكل نار فهو نور إذا اشتعل والأنوار محرقة بلا شك في الأجسام القابلة للاحتراق والاشتعال، ورد في الخبر الصحيح لأحرقت سبحات وجه ما أدركه بصره من خلقه والسبحات الأنوار وأخبر أن السبحات تبلغ اشعتها مبلغ ناظر العين في الإدراك.

واعلم أن الأمر الواحد قد تكون له وجوه مختلفة من كونه كذا عنه كذا ومن كونه كذا أي حكم آخر يكون عن ذلك أمر آخر فالأمر من كونه يرى ما هو من كونه يعلم ومن كونه ما هو من كونه يسمع وإن كان الأمر الذي يدرك به أمر واحد في عينه وتختلف تعلقاته فنقول فيه بالنظر إلى الأمر الواحد أنه يسمع بما به يبصر بما يتكلم إلى غير ذلك وبعض النظار يجعل لكل حكم إدراكاً خاصاً غير الإدراك الآخر فتعدد وإن كنا لا نقول بذلك ولكن سقناه

ليعلم السامع أنا قد علمنا أن ثم من يقول بهذه المقالة وإن كنا لا نرتضيها وإنما اختلف التعلقات لاختلاف المتعلق لا لاختلاف المتعلق اسم فاعل.

فالعين واحدة والحكم مختلف والقائلون بذا قوم لهم نظر
الله أعظم أن تدرى مقاصده في خلقه بل له الآيات والعبر
جل الإله فلا عقل يحصله وعز قدراً فما يحظى به بشر
لكن له صور فينا محققة جاء الخطاب بها في ضمنها صور
تعنو لصورة من يعزي له صور فما ترى صوراً إلا لها سور

واعلم أن كل خير في السعي على الغير والسعي على الأهل من ذلك وشرف الأهل بشرف من يضاف إليه ورد في الحديث في أهل القرآن أن أهل القرآن هم أهل الله وخاصته فما أعظم أجر من سعى في حق الله إلا من أجل الأهلية فافهم، إذا كانت عناية الله بأهل البيت النبوي المحمدي ما ذكر الله في كتابه لنا في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

قال الفراء لما سأل عن الرجل ما هو؟ قال القذر فإذا كان الله تعالى مع أهل بيت النبوة يريد ذهاب الرجس وحصول التطهير فما ظنك بأهل القرآن الذي هم أهله وخاصته، فالحمد لله الذي جعلنا منهم وأقل الأهلية في ذلك حمل حروفه محفوظة في الصدور فإن تخلق بما حمل وتحقق به وكان من صفاته فبخ على بخ.

ولقد بلغني عن أبي العباس الخشاب من أصحاب أبي مدين رضي الله عنه بمدينة فاس أن رجلاً دخل عليه وبيده كتاب من كتب الطريق فقرأ عليه ما شاء الله وأبو العباس ساكت فقال له الرجل يا سيدي لم لا تتكلم لي عليه فقال له أبو العباس اقرأني فعظم على الرجل هذا الكلام فدخل على شيخنا أبي مدين وقال له يا سيدنا كنت عند أبي العباس الخشاب وقرأت عليه كتاباً في الرقائق ليتكلم لي عليه فقال لي اقرأني فقال الشيخ صدق أبو العباس على ما كان يحوي ذلك الكتاب فقال على الزهد والورع والتوكل والتفويض وما يقتضيه الطريق إلى الله فقال له الشيخ فهل كان فيه شيء ما هو حال لأبي العباس الخشاب؟ قال لا قال له الشيخ فإذا كانت أحوال الخشاب جميع ما يحوي عليه ذلك الكتاب ولم تتعظ بأحواله ولا تخلقت بشيء من ذلك فما فائدة قراءتك عليه وسؤالك أن يتكلم لك وقد وعظك بحاله وأفصح في ذلك ونصح فخجل الرجل وانصرف. أخبرني بهذه الحكاية عنه الحاج عبد الله المروزي بإشبيلية في جماعة، فانظر يا وليي إلى حسن طريقتهم ما أعجبها جعلنا الله منهم وألحقنا بهم أنه ولي ذلك والقادر عليه.

سفر الخوف

فــــررت مـــــنــــــي إلـــــيـــــه أو خـــفـــت مـــنـــه عـــلـــيـــه
وذاك مـــن جـــهـــل نـــفـــســـي بـــمـــا تـــؤول إلـــيـــه

قال تعالى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ٢١] وقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١].

ما مر يوم علينا إلا بكيت عليه إذا مشى وتقضي بما يؤول إليه
إنـي رأيت أموراً وكلها في يديه تجري على حكم وقتي والحكم في لديه

الخوف من مقام الإيمان قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وقال في حق الملائكة ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ (٥٠)﴾ [النحل: ٥٠] وأفعالهم أفعال الخائفين وقال في حق طائفة يمدحهم ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧] فلكل موطن خوف يخصه إذا حققت فما متعلق كل خوف إلا ما يكون من الله وهو محدث فما الخوف إلا من المحدثات والله يوجد في ذلك فتعلق خوفنا بالموجد لذلك وهذا قوله وخافوني إن كنتم مؤمنين فجعل الخوف نتيجة الإيمان فإنه موقوف على العلم الإلهي الذي يأتي به الصادق من عند الله فإن العلم من غير إيمان لا يعطيه ولا سيما وقد دل الدليل أن العالم مصنوع لله تعالى وثبت أنه تعالى عليم حكيم فخرج العالم على أحسن صنعه من عالم.

فما ثم ما يدل على فساده لكن ينتقل من حال إلى حال ومن منزل إلى منزل فهذا غير محال ولهذا الانتقال حصل الخوف عند الرجال من الله لا يعرفون مراد الله فيهم ولا إلى أين ينقلهم ولا في أي صفة وطبقة يميزهم فلما أبهم الأمر عليهم عظم خوفهم منه أما خوف الملائكة فهو خوف يزول عن مرتبة إلى مرتبة أدنى ولا سيما وقد روي أن إبليس كان من أعبد الخلق لله تعالى وحصل له الطرد والبعد من السعادة التي كان يرجوها في عبادته من الله تعالى لما حقت عليه كلمة العذاب عاد إلى أصله الذي خلق منه وهو النار فما عذب إلا به فسبحان الحكم العدل ورجال الله يخافون من الاستبدال وهذا الذي يدعوهم إلى تفقد أحوالهم مع الله عز وجل في كل نفس ولا سيما والله يقول: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨] يعني فيما وقع منهم من المخالفة لأمر الله بل يكونون على أتم قدم وأقواه في طاعة الله.

فلولا الله ما عرف المقام ولا وجد الوراء ولا الأمام

فبالله وجدنا وإليه دعينا ورددنا ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣] ولما أقامني الله

في مقام الخوف كنت أخاف من ظلي أن أنظر إليه لئلا يحجبني عن الله وعلى هذا كله فما هي الدنيا دار أمان ولو بشر الإنسان بالسعادة فإنها محل نقص الحظوظ وسبب ذلك إنما هو التكليف الشرعي فإذا زال التكليف الذي هو خطاب الشارع بالأمر والنهي ارتفع عن العبد الخوف العرضي وبقيت له الهيبة فيكون خوفه هيبة للمشهد الإلهي قال الشاعر يصف إجلال حضرة قوم.

كأنما الطير منهم فوق أرؤسهم ... لا خوف ظلم ولكن خوف إجلال

جعلنا الله من أهل الهيبة والتعظيم فإن ذلك لا يكون إلا من استيلاء العظمة بسلطانها على قلب العبد المعتني به في المشاهد القدسية الإلهية واعلم أن الخفا في اللسان هو الظهور قال امرؤ القيس.

خفاهن من انفاقهن

أي أظهرهن يعني اليرابيع فإن اليرابيع تجعل لجحرتها التي تتخذها في الأرض بابين إذا جاء الصائد من الباب الواحد خرج من الباب الآخر ويسمى ذلك الجحر النافقاء ومنه سمي المنافق منافقاً لأن له وجهين وجهاً يقابل به المؤمنين ويظهر أنه معهم ووجهاً يقابل به الكفار ويظهر أنه معهم فجعلوا لمن هذه صفته اسم المنافق والله يقول في حق من قال: ﴿نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣٥] يقول إن طلبك الأعداء من جانب خرجت من الجانب الآخر طلباً للسلامة منهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فتكون من أهل باب واحد وكان المنافقون في زمان رسول الله ﷺ يأتون إلى المؤمنين بوجه به يظهرون أنهم معهم ويأتون إلى المشركين بوجه يظهرون به أنهم معهم ويقولون: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤] وأخبر الله تعالى: أنه يستهزىء بهم بذلك الفعل الذي يفعلونه مع المؤمنين وهم لا يشعرون فهذا من مكر الله بهم وهو قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النمل: ٥٠] فإن شعر به فليس بمكر.

سفر الحذر

لقد جاءني الوحي العزيز بأن اسري ... بنفسي وأهلي عالم الخلق والأمر
بأن الإله الحق ربي قد قضى ... بموت عدو الدين في غمة البحر

يقول الله تعالى حكاية عن قول شخص: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الشعراء: ٥٦] والحذر نتيجة خوف يقول تعالى: ﴿خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١] فإنه من أخذ حذره من شيء لم يؤت عليه منه وأكثر ما يؤتى على الشخص من مأمنه أي من الجهة التي يأمن على نفسه منها فينبغي للعاقل أن لا يأمن إلا من الجهة التي أمنه الله منها فإن قوله سبحانه هو الصدق الذي

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو الصادق سبحانه وهذا الحذر إن ساعد القدر حينئذ ينفع فإنه ورد لا ينجي حذر من قدر إلا أن يكون ذلك الحذر من القدر حينئذ تكون به النجاة ولقد بالغنا في ذلك بقولنا.

يـــا حـــــذري مـــــن حـــــذري لـــو كـــان يـــغـــنـــي حـــذري

فأبلغ الحذر إنما هو في الحذر من الحذر أن يتخذه مستنداً ومن رحمة الله تعالى بنا أن حذرنا نفسه وأبلغ من هذا ما يكون فقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠] ومن رأفته أن حذرنا نفسه فإنه من ليس كمثله شيء لا يعرف أبداً إلا بالعجز عن معرفته وذلك أن نقول ليس كذا وليس كذا مع كوننا نثبت له ما أثبته لنفسه إيماناً لا من جهة عقولنا ولا نظرنا فليس لعقولنا إلا القبول منه فيما يرجع إليه فهو الحي الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر عالم الغيب والشهادة الرحمٰن الرحيم الخالق الباريء المصور الحكيم بهذا وأمثاله أخبرنا عن نفسه فنؤمن بذلك كله عن علمه بذلك لا على تأويل منا لذلك فإنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلا ينضبط لعقل ولا ناظر فما لنا من العلم به من طريق الإثبات إلا ما أوصله إلينا في كتبه وعلى ألسنة رسله المترجمين عنه ليس غير ذلك ونسبة هذه الأسماء إليه غير معلومة عندنا فإن المعرفة بالنسبة إلى أمر ما موقوفة على علم المنسوب إليه وعلمنا بالمنسوب إليه ليس بحاصل فعلمنا بهذه النسبة الحاصلة ليس بحاصل فالفكر والتفكر والمتفكر يضرب في حديد بارد جعلنا الله وإياكم ممن عقل ووقف عندما وصل إليه منه سبحانه ونقل، واعلم أن سفر الحذر يخرج صاحبه من المحسوس إلى المعقول ومن النعيم إلى العذاب ومن الستر إلى التجلي ومن الموت إلى الحياة القائمة بالأكوان التي تنتجها معرفتنا بالعالم ويؤدي إلى العلم بالنشأة الإنسانية ومن أين صدرت من حيث جسميته وبالحركة المستقيمة دون المنكوسة وإلا فقيه وإن عرفهما فبحكم التبعية ويعلم كل مقام يقتضي له الزيادة والشفوف على غيره والبصيرة في كل ما يبصره ويأتيه فله فيه تفكه ونعيم ويقف من هذا المقام بهذه الصفة على علم التوارث وفيماذا يقع وما الذي يورث وممن يورث ومن يرث ومن هذا السفر يعرف مشارق الأنوار ومطالع أهلة الأسرار فيحذرون من إدراك الصفات التي تغيبهم عن ذواتهم والنعيم بها إلا أنه تكون النجاة لهم عقيب هذا كله يحذرون منه ولو كان العدو ما كان من القوة فإنهم الغالبون بنصر الله فإنه سبحانه لا يقاوم ولا يغالب فإنه العزيز الرحيم وهذه الصفة إذا قامت بالعبد فإن الله يأخذ بيده في جميع أموره ويهديه إلى ما فيه نجاته وله من خرق العوائد المشي على الماء والنجاة من الأعداء أعداء الأرواح والبشر وهلاك الأعداء وينتج هذا السفر القرب الإلهي المقرون به سعادة الأبد وفي هذا المقام يأمن صاحبه في سفره فيه من كل ما يحذره من القواطع التي

تحول بينه وبين سعادته الأبدية ولو صال عليه جميع من الأرض عليهم وظهر عليهم ويحصل لصاحبه المتصف به من الكشف ما يقف به على غوامض الأسرار إذ كان نوره يبقر كل شبهة وجهل ويبطل كل تمويه وزور ويورث النفس شجاعة وإقداماً وقوة فيفعل بالهمة ما لا يقدر على فعله بالإجرام ولا بالعدد غير أن صاحب هذا السفر يحصل له في أول دخوله فيه هلع طبيعي وضيق صدر وخوف لما يراه في أول طريقه من ضعف وقوة هذا المقام وهذا الضعف والذلة القائمة به تورثه العزة والقوة ويكشف له علم الظاهر والباطن فلا يخفى عليه شيء ويتولاه الله بنفسه في خروجه إلى الإرشاد والهداية فيكون معانا وتحصل له البشرى من الله حتى يأمن فيتوفر داعيته إلى التبليغ فإن الخوف مانع والجبن صارف غير أن الحق يؤيد صاحب هذا السفر تأييداً يعرفه ويأنس به ويركن إليه لا بد من ذلك ويعطي الحجة والقوة والظهور على خصمائه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين آمين

كتاب
التنزلات الموصلية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بسم الله الرحمن الرحيم [1]

إذا نزل الروح الأمين على قلبي تضعضع تركيبي، وحنّ إلى الغيب، فأودعني منه علوماً تقدست عن الحدس والتخمين، والظن والريب، وفصلت الإنسان نوعين، إذ رأت يقوم به الصفو النزيه مع الشوب، فنوع يرى الأرزاق من صاحب الغيب، ونوع يرى الأرزاق من صاحب الجيب، فيعبد هذا النوع أسباب ربه، ويعبد هذا خالق المنع[2] والسبب، فهذا مع العقل المقدس وصفه، وهذا مع النفس الخسيئة بالعيب، لعلك يا وليّ إذا سمعتني أقول: تنزل الروح الأمين على القلب، تنكر وتقول: أوحي بعد النبي صلى الله عليه وسلم؟ لا تقل أعاذنا الله وإياك من وحي كل شيطان غويّ، إنما هو عبارة في العامة عن اللّمة الملكية، وفي الخاصة هو بالحديث كما ورد في صحيح الحديث، في القديم وفي الحديث، قال خير البشر: (إن في أمتي محدثين وإن منهم عمر)[3]، وقال أيضاً عليه أفضل الصلاة والسلام: في قلب العبد إنه (يتصرف بين لمّة الملك وبين لمة الشيطان)[4]، ثم كنى أيضاً عن هذا التصرف، والتقليب بالإصبعين، وأضافها إلى الرحمن[5]، فما زالت الملائكة تتعاهد القلوب بأسرار الغيوب، وهي التي تأمرك بالطاعة، والتزام السنة والجماعة، حين تأمرك الشياطين بلمّتها في ذلك الأمر بالمخالفة، فإن تسمح لها أمرتك بالتسويف أو الموافقة، وتتنوّع تنزلات الغيوب بتنوع استعداد القلوب، ولا تظن أيها الخليل أني أعني بالروح الأمين (جبريل)، فإن الملائكة كلهم أرواح أمناء على ما أودعها الله سبحانه من أصناف العلوم الموقوفة على

---

(١) بعد البسملة ما نصه: قال الشيخ رضي الله عنه في كتابه المسمى بالتنزلات الموصلية.

(٢) (المنع): حاشية.

(٣) الفايق في غريب الحديث: ٢٣١/١، تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، ١٥٢.

(٤) سنن الترمذي، ٢٨٨/٤.

(٥) إشارة إلى الحديث الشريف: (قلب العبد بين أصبعين من أصابع الرحمن)، الكافي، ٣٥٣/٢، مسند أحمد، ١٦٨/٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التوصيل، تارة بالإجماع، وتارة بالتفصيل، ولا بدّ أن يكون صاحب التنزلات الغيبية عارفاً بالخواطر وأجناسها، وعالماً بالروائح وأنفاسها، فلا يتصور إنكار في ما ذكره بعد ما قرّرناه من اللّمة والحديث إلاّ من معاند خبيث، متعنا اللّه وإياكم بنتائج الأذكار، وعصمنا وإياكم من أغاليط الأفكار، وقدّس قلوبنا من دنس التعصّب والإنكار، على ما ظهر من المتقين والأبرار، من غوامض العلوم والأسرار.

في سر وضع الشريعة(1)

سبب وضع الشريعة في العالم أمران فيهما سران الأمر الواحد: صلاح العالم، وهو منهج الأنبياء، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾(2)، وسرّه أن نصر المؤمنين حق عليه، والأمر الآخر: إثبات ذلة العبودية، وظهور عزة الربوبية، وسرّه حكم سلطان اسمه، فتنبه لما رمزناه، وفكّ المعمّى الذي لغزناه، فهذا سبب وضع الشرع الموافق للعقل والطبع، جعلنا اللّه وإياكم من العلماء العاملين، وحال بيننا وبين القوم الفاسقين.

في معرفة كون الرسول من جنس المرسل إليه(3)

نزل روح أمين على قلب مكين، وقال: إنما جعل الرسول من الجنس لاستخراج عيب النفس، وأُنزل بلسانهم لارتفاع اللبس، وإن دعا إلى أمر أن يكون من غير الجنس في الحقيقة، فلا بدّ وأن يظهر في صورة الجنس في عالم تمثيل الرقيقة، انظر أيها القلب في إيجاد المسيح لم يصح حتى تمثل في عالم البشرية الروح، فوقع النفخ، وأعقبه السلخ، وقد رمينا بك على الطريق، فادرج عليه إلى عالم التحقيق، وسيقوم معك رسول الخيال إلى المتخيلات، فخذ منه ما أعطاك، وإياك والالتفات، وانهض على طريقتك المثلى، وقل: الرفيق الأعلى، فسيقوم معك رسول العقول، فخذ منه ما يقول، واركض برجلك حيث براق عملك [1ظ] إلى نيل أملك، زكى اللّه أعمالنا، وبلّغنا وإياكم آمالنا آمين.

---

(1) وقال رضي اللّه عنه في التنزلات الموصلية.

(2) سورة البقرة، الآية 179.

(3) وقال رضي اللّه عنه في الكتاب المذكور.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في معرفة مقام الرسالة، ومقام الرسول من حيث هو رسول، ومن أين نودي وأين مقامه، والخلافة والنبوة والولاية والإيمان، والعالم والجاهل، والظان والشاك والمقلدين لهم(١)

نزل الروح على القلب، وقال: الرسالة عرش الرّب، وسماء المربوب، ومقام الرسول بينهما؛ لأنه طالب مطلوب، فلو لم يناد الرسول في مقامه الإلهي لما أجاب، ولو سقى من غير مشربه ما طاب، فإن قيل له في ذلك الخطاب: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾(٢)، فذلك الرسول وإن زيد عليه، وقاتلهم إن أبوا القبول، فذلك الخليفة الرسول، فله أن يصول.

واعلم أن فلك الولاية هو الفلك المحيط الأعم الأتم الأكمل العقلي، وفلك النبوة هو الفلك الأتم النفسي، وفلك الرسالة هو الفلك القريب المثلث الهيولي، وفلك الجهل هو الفلك الزحلي، وفلك العلم هو الفلك المشتري، وفلك الشك هو الفلك المريخي، وفلك النظر هو الفلك الشمسي، وفلك الظن هو الفلك الزهري، وفلك التقلب هو الفلك العطاردي، وفلك الإيمان هو الفلك القمري. الرسول وُجه على قومه، والنبي تُعبد في نفسه إلى يومه، والولي أيقظه الرسول من نومه، فالرسول هو الإمام، والولي هو المأموم محفوظ غير معصوم، فالرسول من هذا النمط هو المطلوب، ومنه وإليه يكون الهرب المرغوب، فالمؤمن به صدقه وانصرف، والعالم أقام له البرهان، فأقرّ بصدقه واعترف، والجاهل نظر فيه، والخرف والشاك تحيّر فيه وتوقف، والظان تخيل وما عرف، والناظر تطلّع وتشوّف، والمقلد مع كل صنف تصرف، إن مشى متبوعه مشى، وإن وقف وقف؛ حيث ما كان، إما في النجاة وإما في التلف، جعلنا الله وإياكم ممن نظر واستبصر، وعلم فلم يجهل، ولم يتحير آمين.

في تلقي الرسالة وشروطها وأحكامها(٣)

نزل الروح الأمين على القلب وقال: يا طالب الرسالة أقصر فإنها موهوبة غير مكسوبة، وطالبة غير مطلوبة، لا تنال بالسعايات، وليس لها بدايات فتوجد عند الغايات، وإن كان من شرطها أن تكون نية صاحبها قريبة من الاعتدال، ولطيفته متوسطة بين الجلال والجمال، وأحكامها ألا يسكن في النور ولا في الظلمة، وليتحرَّ مواضع الضياء والظلال، وليكن فرشه

(١) قال رضي الله عنه في الكتاب المشار إليه.

(٢) سورة المائدة، الآية ٦٧.

(٣) قال رضي الله عنه في التنزلات الموصلية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرمال، ووقته الرقيقة التي قبل الزوال، وأن تكون مرآته صافية، ويواجه بها حضرة البلاء والعافية، ومن أحكامها الثبوت عند التلقي، وعدم الالتفات عند الترقي، وأما تلقيها فرقيقة ربانية تمدّ إلى لطيفة روحانية بكلمة غيبية، مدرجة في قوة قلبية تجري في أنبوب تلك الرقيقة، فتستقر في النقطة الدقيقة، فيبثها الرسول في عالم المجاز والحقيقة، على حسب ما تعطيه الطريقة، فالتدلي انبعاثها الرباني، والتلقي اتصالها الروحاني به، علمنا الله وإياكم من لدنه علماً، وآتانا رحمة من عنده ومغفرة وعزماً آمين.

في معرفة تلقي الرسالة الثانية الموروثة من النبوة

نزل الروح الأمين على القلب وقال: لتعلم أن الرسالة الثانية موهوبة مكسوبة، وطالبة ومطلوبة، وموروثة غير منفوثة، وباعثة ومبعوثة، وصورة تلقيها حقيقة ربانية تمتد في رقيقة نورانية إلى لطيفة روحانية، فاللطيفة الروحانية رتبة، والحقيقة الربانية مرتبة في واسطة مرآة نبوية، فينعكس شعاعها على قلب الولي، فلهذا يخرج بصورة النبي لا ينسخ شريعة، ولا يثبت أخرى، ولا يسأل على تعليمه أجراً، وإنما صح لنا ورث الكتاب؛ لكون إعطائه إيانا من غير اكتساب؛ وكل وراث مصطفى، وما سواه فهو على شفا، وإنما أُلحق الوارث منا بالنبي السالف، لأنه للإلقاء النبوي ذائق، ولمقامه العلّي كاشف، فهو في قلبه على شريعة من ربّه، وإنما نسب رسول الرسول إليه لاشتراكهما في التكليف الذي أنزل عليه، ولم ينسب الرسول عليه الصلاة والسلام إلى (جبريل)، لأنه ليس له من رسالة غير التعريف الذي أودع الرحمن لديه، فنسب الرسول إلى الله بغير واسطة لعدم هذه الرابطة، فإن كنت من أهل الإشارات فقد منحتك العلم النافع في إيجاز هذه العبارات؛ جعلنا الله وإياكم ممن ورث فبعث، ودُعي فانبعث، وإن ترك لم يكترث بمنه آمين.

من التنزلات في معرفة النية والفرق بينهما وبين الإرادة والقصد والهمة والعزم والهاجس[1][٢و]

أساس وجود الفعل في القلب خمسة: فأولها عند المحقق الهاجس، ومن بعده عين الإرادة قائمة، وهمّ وعزم صادفته، ومن بعد هذا نية مستقيمة، تباشر فعل الشخص والقلب سائس، وقد قيل أيضاً النص المحقق، فإن صح هذا القول فالقصد سادس، ومن قال: إن

(١) قال الشيخ رضي الله عنه في تنزلاته.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القصد معناه نية فحسب، فإن القصد المقوّم خامس، نزل الروح على القلب وقال: أيها العقل الأقدس اعلم أن اللّه تعالى إذا أراد إيجاد فعل ما بمقارنة حركة شخص ما بعث إليه رسوله المعصوم، وهو الخاطر الإلهي المعلوم، ولقربه من حضرة الاصطفاء، هو في غاية الخفاء، فلا يشعر بنزوله في القلب إلاّ أهل الحضور والمراقبة في مرآة الصدق والصفاء، فينقر في القلب نقرة خفية لتزول نكتة غيبية، فمن حكم به فقد أصاب في كل ما يفعله، وتحجج في كل ما يعلمه، وذلك هو السبب الأول عند الشخص الذي يعوّل، وهو نقر الخاطر عند أرباب الخواطر، وهو الهاجس عند من هو للقلب سائس، فإن رجع إليه مرة أخرى فهو الإرادة، وقد قامت تصاحبه العادة، فإن قام ثالثة فهو الهمّ، ولا يعود إلاّ لأمر مهم، فإن عاد رابعة فهو العزم، ولا يعود إلاّ لنفوذ الأمر الجزم، فإن عاد خامسة فهو النية، وهو الذي باشر الفعل هذه النية، وبين التوجه إلى الفعل وبين [أن] يظهر القصد، وهو صفة مقدسة يتصف بها الرّب والعبد.

في معرفة أسرار التكبير(١)

قال الروح في تنزله: اعلم أن الجمع في حضرتين، كما بيّنا من قبل أن الوجود كله بني على اثنتين: فاللّه وأعني به الاسم حضرة جامعة لجميع الأسماء الحسنى، والذات التي لها الألوهية حضرة جامعة لجميع الصفات الذاتية القدسية، والصفات الفاعلية في العالم الأبعد والأدنى، والأرفع والأدنى، فإذا كنت في حالة من الأحوال، أحوال الأرض وأحوال السماء، فلا تشك أنك تحت قهر اسم من الأسماء سواء عرفت ذلك أو لم تعرف، أو وقفت في مشاهدته أو لم تقف، فإن ذلك الاسم الذي يحرّكك أو يسكّنك، أو يلوّنك أو يمكّنك، يقول لك: إنه إلهك ويصدق في قوله، فيجب عليك أن تقول: اللّه أكبر، وأنت يا اسم سبب فعله، فلك الرفعة السيئة، وللّه الرفعة الإلهية، ويصح (أفعل) على طريق المفاضلة، فإنها من حضرة المماثلة، قال اللّه تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾(٢)، وكذلك له الصفات العلى، فإن اللّه هو الرحمن الرحيم إلى ما يعلم منها وما لا يعلم، وما يفهم منها صفاته وما لا يفهم، وعلى هذا يصحّ «اللّه أكبر»، وبه ثبتت المعارف الإلهية وتقررت.

واعلم قطعاً أن الذات لا يتجلى إليك أبداً من حيث هيأة، وإنما يتجلى إليك من حيث صفة ما متعلّية، وكذلك اسم اللّه لا يُعرف أبداً معناه، ولا يسكن وقتاً ما في معناه، وبهذا السر

---

(١) قال الشيخ رضي اللّه عنه في التنزلات.

(٢) سورة الإسراء، الآية ١١٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تميز الإله من المألوه، والرّب من المربوب، ولو لم يكن ذلك كذلك، لالتحق المهلك بالهالك، فقد بانت الرتب، وعُرفت النّسب، وثبتت حقيقة السبب، جعلنا اللّه وإياكم ممن شاهد فخرَ من الكبر، فتجلى له ما هو أكبر منه، لا ربّ غيره، وما أشقى إلاّ على العمر ينقضي، وليس لنا في الاجتماع نصيب، انتهى.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في[1] إسرائه مع المخاطبة بآدم عليه السلام

قلت له: يا أبت إني أريد أن تخبرني بما عُلّمت من الأسماء، وهل كانت لك خلافة في السماء؟ فقال: يا بُني إن القدم الواحدة مخصوصة بالسماء، والخلافة ذات قدمين، فلا يصح فيه وجود الخلفاء، وما سألت عنه من مقام الأسماء، فإن اللّه عرض عليَّ الحقائق قبل تأليفها، وعرَّفني بأسمائها وأسماء من يتألف منها، وأعلمني بكيفية تركيبها وتصريفها، ثم عرض على الملائكة تلك الحقائق وأخفى عنهم ما أشهدني من الرقائق لما تقدم منهم في حقي من التحريج، كما رأيته في البناء الصحيح فقال: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[2]، وأشار إليهم لكونهم حاضرين، ولو أراد الأسماء خاصة لقال: عرضها، وفي قوله: عرضهم، حجة واضحة عرفها من فرضها، فعرفت الملائكة أسماء الحقائق في حال افتراقها، حين اختصصت أنا بمعرفة أسماء تركيبات حقائقها: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[3]، قال اللّه جلّ ثناؤه: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾[4]، فألفتُ الحقائق بطريق ما، وقلت [٢ظ]: هذا قدس بطريق آخر، وقلت: هذا إنسان، فلما أنبأتهم بأسمائهم، فظهرت حجة اللّه على خلقه، وقام بهم برهان حقه فبمثل هذه الأسماء اختصصتُ، وهي التي على الملائكة نصصتُ، وإلاّ فليست في الأسماء عند وجود الأعيان معرفة غامضة عند الأرواح أنها على مجرد الاصطلاح، ولهذا اختلفت عوالم العبارات عنها عند شهودها، ولم تختلف المعاني التي بها قوام وجودها، فالنفس تعقل معانيها، وإن اختلفت أساميها في مبانيها. فقلت:

---

(١) قال رضي اللّه عنه في التنزلات.

(٢) سورة البقرة، الآية ٣١.

(٣) سورة البقرة، الآية ٣٢.

(٤) سورة البقرة، الآية ٣٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذه الأسماء الكيانية، فهل اختصصت أيضاً بالأسماء الإلهية؟ فقال: عليها فُطِرت الصورة الإنسانية، انظرها فهي مصرِّفتك، وتحقَّقها فهي معرفتك، بمعرفتها تفاضل أشخاص هذا الجنس، وبمشاهدتها تقدس العقل، وتزكت النفس، فقلت له: كذلك وجدتها، ولهذا عبدتُها، والله أعلم.

في بيان الصلاة الوسطى، أي صلاة هي ولماذا سميت بالوسطى[1]؟

إن الوسطى من الوسط والفضيلة، فمن جعلها من الوسط فهي المغرب لما جاء في الخبر: إن أول صلاة صلاها (جبرائيل) بالنبي عليهما السلام صلاة الظهر، وقد ثبت ذلك وظهر، فمن جعلها من الفضل فيكون العصر، لاقتران فواتها بمصيبة الأهل والمال وتغير الأحوال، وقد جاء الخبر الحق في يوم الخندق: إنه عليه الصلاة والسلام أبدل العصر من الوسطى، بدل الشيء من الشيء، ومن العين الواحدة، وهي المختارة المثلى، وقد أثبتتها (عائشة) أم المؤمنين رضي الله عنها في مصحفها بواو التأكيد، وهذا في المسألة من أعظم التأييد، ومن خالف ما ذكرناه من العلماء الآراء والرواية، فروايات واهية، وآراء ما عليها من طلاوة رونق، فسلطان هذا الحكم من معارف الرسم، وعلوم الوسم، فنرجع فيها إلى محكم يعلم الكشف المحقق بالنور المطلق، فأقول:

شاهد عين السرّ في حضرة الوتر
إن الصلاة هي صلاة العصر

إلى آخر ما ذكره.

وفي معنى قوله: والذين هم على صلاتهم دائمون[2]

من عرف سرّ وضع الصلوات لم يزل في عموم الحالات على تنوع التصرفات، فلا يبرح على صلاته دائماً، ولسرّها حاكماً، ولا يقنع بالاقتصار على محافظة الأوقات؛ فإنه لأهل الأشغال والغفلات، ولا شغل للعارفين إلاّ بربهم، ولا مراقبة لهم في شيء إلاّ في قلبهم، فإنه الذي وسعه وناداه فسمعه، فهو في كل الأحيان يشاهده، وسرّه مع الأنفاس عابده، فقابل الدوام بالدوام، وزاد على التعيين عند أصحاب الليالي والأيام، فجواد صمته في ميدان الديمومية سانح، ونور سرّها في بحرها المتلاطم سابح، وإن كانت الصورة في مرتبتين محققتين: مرتبة عميمة،

---

(١) قال رضي الله عنه في أواخر كتاب التنزلات من المعارف الرسمية، والعلوم الوسمية.

(٢) قال رضي الله عنه في تنزلاته.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومرتبة مخصوصة، وأسرارهما عند المحققين الذين على بينة من ربهم منصوصة، والدوام إنما يقع في المرتبة العامة، وهي المناجاة، وأما المرتبة المخصوصة فلا يتمكن فيه الدوام لاختلاف المقامات، بتنوع التنزلات لتنوع الحالات، فمن وقف على سرّ الحضور لم يقتصر على بعض الأمور، وفيه يصح الدوام عند علماء الإلهام، فقد تبيّنت الرتب، وتحققت النسب، جعلنا اللّه وإياكم ممن داوم على صلاته في الحكمين ففاز بالعلمين، آمين.

رسالة المحبة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أن للمحبة أربعة ألقاب:

منها الحبّ: وهو خلوصه إلى القلب وتنقيته[1] عن كدورات العوارض، فلا غرض له ولا إرادة مع محبوبه.

واللقب الثاني: الودّ، وله اسم إلهي، وهو الودود، والودّ من نعوته، وهو الثبات فيه، وسمّي الودود لثبوته في الأرض.

واللقب الثالث: العشق، وهو إفراط المحبة، وكنّى به بشدة الحبّ في القرآن العظيم في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[2]، وقوله: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾[3]، أي صار حبّها ليوسف عليه الصلاة والسلام على قلبها كالشغاف، وهي الجلدة الرقيقة التي تحتوي على القلب، فهي ظرف له، فتحيط به، وقد وصف الحق نفسه بشدة الحب، غير أنه لا يُطلق اسم العشق والعاشق عليه تعالى.

واللقب الرابع: الهوى، وهو استفراغ الإرادة في المحبوب، والتعلّق به في أوّل ما يحصل في القلب، وليس للّه تعالى منه[4] اسم، وقلنا فيه:

علقتُ بمن أهواه عشرين حجة
فلم أدر من أهوى ولم أعرف الصبرا

---

(١) في نسخة أخرى (صفاؤه).

(٢) سورة البقرة، الآية ١٦٥.

(٣) سورة يوسف، الآية ٣٠.

(٤) (منه): حاشية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولا نـظـرت عـيـنـي إلـى حـسـن وجـهـهـا
ولا سـمـعـت أذنـاي قـط لـهـا ذكـرا
إلـى أن تـراءى الـبـرق مـن جـانـب الـحـمـى
فـنـعّـمـنـي يـومـاً وعـذّبـنـي دهـرا

وقلنا فيه أيضاً:

علقتُ بمن أهواه من حيث لا أدري ... ولم أدر مَنْ هذا الذي قال: لا أدري
قد حلت في حالي وحالت خواطري ... وقد حارت الحيرات فيَّ وفي أمري
فبينا أنا من بعد عشرين حجة ... أترجم عن حبّ يعانقه سبّي
فلم أدر من أهوى ولا أعرف اسمه ... ولم أدر من هذا الذي ضمّه صدري
إلى أن بدا لي وجهها من نقابها ... كمثل سحاب الليل أسفر عن بدر
فقلت لهم: من هذه؟ قيل: هذه ... بنيّة عين القلب بنت أخي الصدر
فكبّرتُ إجلالاً لها ولأصلها ... فليلي بها أربى على ليلة القدر

واختلف الناس في حدّه، فما رأيت أحداً حدّه بالحدّ الذاتي، بل لا يتصور ذلك، فما حدّه من حدّه إلاّ بنتائجه وآثاره ولوازمه، ولا سيما وقد اتصف به الجذاب العزيز، وهو الله عزّ وجل، وأحسن ما سمعتُ فيه ما حدثنا غير واحد عن أبي العباس بن الصنهاجي رحمه الله تعالى، قالوا سمعناه يقول وقد سُئل عن المحبة فقال: الغيرة من صفات المحبة، والغيرة تأبى إلاّ الستر، فلا تحدّ.

وألطف ما في الحب وجدته، وهو أن تجد عشقاً مفرطاً، وهوى وشوقاً مقلقاً وغراماً ونحولاً، وامتناع نوم، ولذة طعام، ولا تدري فيمن، ولا بمن؟ ولا يتعين لك محبوبك، وهذا ألطف ما وجدته ذوقاً، ثم بعد ذلك بالاتفاق، أما يبدو لك تجلٍ في كشف فيتعلق الحبّ به، أو ترى شخصاً فيتعلق ذلك الوجد تجده به عند رؤيته، فتعلم أن ذلك كان محبوبك [١ظ] وأنت لا تشعر، أو يُذكر الشخص فتجد الميل إليه بذلك الهوى، فتعلم أنه صاحبك، وهذا من أخفى دقائق استشراف النفوس على الأشياء من خلف حجاب الغير، فيجهل حالها، ولا تدري بمن هامت، ولا فيمن هامت وما هيَّمها؟ وتجد الناس في ذلك القبض والبسط الذي لا يعرف له سبب، فعند ذلك إما يأتيه ما يحزنه، فيعرف أن ذلك القبض كان لذلك الأمر، أو يأتيه ما يسرّه فيعرف أن ذلك البسط كان لهذا الأمر، وذلك لاستشراف النفوس على الأمور من قبل تكوينها في تعلق الحواس الظاهرة، وهي مقدمات التكوين، وينسبه ذلك أخذ الميثاق على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذرية بأنه ربنا[1]، فلم يقدر أحد على إنكاره بعد ذلك، فيجد في فطرة كل إنسان افتقاراً لموجود يستند إليه، وهو اللّه تعالى، ولا يشعر به بعد ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾[2]، يقول له: ذلك الافتقار الذي تجدونه في أنفسكم متعلقه اللّه لا غيره، ولكن لا تعرفونه، فعرَّفنا به الحق، ولما ذقنا هذا المقام قلنا فيه:

عـلـقـت بـمـن أهـواه عـشـريـن حـجـة

بالتمام إلى آخره، واللّه أعلم.

تمَّ في مكة.

---

(١) إشارة إلى الآية ١٧٢ من سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾.

(٢) سورة فاطر، الآية ١٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رسالة الوقت والآن

رسالة الوقت والآن

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الحمد لله ولي الحمد ومستحقه، وصلى الله على سيدنا (محمد) صفوته من خلقه وآله وصحبه وسلم.

اعلم أيها الأخ الموفق السعيد، بعناية الله الحميد المجيد، أن مدار طريق أهل الله، وهم السادة الصوفية الموصل إلى الله تعالى، على حفظ الوقت، والقيام بحكمه ومرسومه، وهذا الوقت الذي وقع عليه اصطلاح الصوفية، من الأمور الدقيقة الغامضة التي لا يتنبّه لها[1]، إلاّ المؤيد بنور البصيرة القدسية، والمنصور بعناية الحضرة العلية، والحقيقة الإلهية، والمراد به وقت المريد السالك الرامي إشارته إلى الحق، عن قوس صدق العزيمة السائرة على ضوء مصباح اليقظة، أو على ضوء مصباح الكشف الصادق، ولا يزال هذا الوقت مشهداً[2] في باب السلوك، مصاحباً للسالك، حتى يفنى رسم السالك في وجود الحق، ثم يحققه بفني رسم الوقت بالحق، ومن هنا قال[3] المتقدمون من علماء الحق:

«إن الوقت هو الحق لاستغراق رسمه في الحق»[4]، وقد كشف لنا الحق في الوقت أمراً جليلاً ذكرناه في الجزء الثاني من كتاب: (السر الأحدي)[5] وتلخيصه: إن الوقت واحد مشهد، لكنه يختلف بحسب اختلافات المقامات، والمقصود ها هنا: ذكر وقت المريد

---

(١) في الأصل (له).

(٢) في الأصل (مشهد).

(٣) في الأصل (قالوا).

(٤) لم نعثر عليه في المظان التي بين أيدينا.

(٥) لم نعثر على أي إشارة إلى هذا الكتاب في المظان التي بين أيدينا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصادق فهو برزخ بين الجلال والجمال، وهو باطنه وباعثه إلى نعت الجمال، وإلى نعت الجلال على السواء، وذلك أن وقت المريد هو آنٌ من الفرد الأحد، الذي هو أجلّ أن يُعبر بوقت، لنزاهته عن الوقت، وسابقيته على الإلهية والفناء والبقاء في شأن الخلق الجديد، المشار إليه بقوله:

﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[1]، فالمريد الصادق محتجب في الوقت من أجل المؤقِت، بالقيام فيه بحق العبودية للحق على الحضور، وهو في عين ذلك الوقت ملاحظ[2] لنعت الجمال واللطف، ولنعت الجلال والقهر على السواء، فأما كونه ملاحظاً لنعت الجمال واللطف، فهو من كونه مخصصاً في عين ذلك الزمن الفرد بالوجود، الذي اقتضى الحق منه القيام بالعبودية فيه، التي أوجده لها، ويشهد ذلك من لطف الحق به، ومراعاته إياه، وحسن توجيهه إليه، في عين ذلك الزمن الفرد، وأما ملاحظته لنعت الجلال في عين ذلك الوقت الدقيق، فهو من حيث ملاحظته بسلب وجوده، العائد للّه في عين ذلك الوقت بالعبودية، فإن وجود الكائنات كلها، إنما هو ثوب معار عليها بتخصيص من الحق، ينزعه مالكه إذا شاء بأسرع وقت، فلهذا قلنا لك: إن وقت المريد الصادق [٩٤ظ] برزخ بين الجلال والجمال، فهو لا يشهد في الزمن الفرد العالم فيه للّه بالعبودية، إلاّ مسألة الجواز بين وجوده وعدمه في عين ذلك الوقت وإلى ذلك الإشارة بقولهم:

«الصوفي ابن وقته»[3]، فهو وإن كان مخصصاً في عين ذلك الوقت بالوجود العالم بالعبودية، فهو لا يحكم على الحق باستمداد الوجود إلى ما فوق ذلك الوقت، الذي هو فيه بالوجود، وإن شاء سلب عنه الوجود في عين ذلك الزمن، فالمريد عميٌّ من غير الوقت الدقيق في التحقيق، فيقوم للّه في عين ذلك الوقت الدقيق، بعبودية مودّع على حسب ما يعطيه تحققه في مقام الإشارة، قال عليه السلام:

(إذا صليت، صلِّ صلاة مودع)[4]، وهو الذي لا يرى له وجوداً أبداً على عين وقته الدقيق، الذي هو فيه بالتحقيق، فإذا كانت عبودية المريد عبودية مودّع في مقام الإحسان، الذي أشار إليه بقوله عليه السلام:

---

(١) سورة ق، الآية ١٥.

(٢) في الأصل (ملاحظاً).

(٣) الرسالة القشيرية، ٣٤.

(٤) مسند أحمد، ٥/٤١٢، وسنن ابن ماجه، زهد، ١٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(اعبد اللّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[1] وهو مقام المراقبة والحضور، بالمحبة والأدب، حصل الإرب، ونجح القصد، وانطوى رسم الوقت في عين الحق، وهذا هو الصوفي، الذي هو ابن وقته. وقد ورد [في] الحديث حين سئل: من أسعد الناس يا رسول اللّه؟ قال:

(أسعد الناس من لم ينس المقابر والبلى، وعد نفسه من الموتى، ولم يحسب من أيامه غداً)[2]، وهو عين ما ذكرناه؛ فإن قوله صلى اللّه عليه وسلم: ولم يحسب من أيامه غداً بقيت أوقاته الدقيقة الفردية، التي له عند الحضور في الحقيقة، فإن من عدّ نفسه في عين كل وقت دقيق من الموتى، فهو ملاحظ عدمه في الزمن الفرد، ملحوظ من باب نعت الجلال، وإنما ذكر صلى اللّه عليه وسلم الأيام، لكونه مشرّعاً متكلماً عن العامة، فالكلام الجامع الذي يعطيهم[3] مشربه من حيث عمومه، ويعطي [ذا] الحاجة مشربه من حيث خصوصه.

وهذا مطّرد في كلام اللّه، وفي كلام رسوله؛ فإن الحاجة لا تقع عندهم إلاّ أيام الرب، التي هي الشهور الإلهية في متعلقاتها؛ لكونهم طالعوا سر الألوهية في المخلوقات، وفرض فعل القدرة وانفعالها في الزمن الفرد، فلم يقع عندهم من العبارة المحمدية والأمر المطابق للمعنى الإلهي.

وأما العامة، فأخذوا اللفظ من حيث عمومه، وساغ لهم مشربه من هذه الحيثية، لتوسع الرحمة المنزّلة إليهم، المشار إليها بقوله تعالى:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[4]. فاعلم هذا أيها الأخ الموفق السعيد، واحفظ الوقت المشار إليه:

﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾[5]، فإن السر كله في حفظ الوقت، والقيام بحكمه

---

(١) أخرجه البخاري في جامعه ١٩٢/١، في الإيمان برقم ٤٧، ومسلم ١٨/١، في أول كتاب الإيمان، وأبو داود في السنن، ٥٢٦/٢، والترمذي في الإيمان برقم ٢٦١٣، وابن ماجه ١٧/١ في الإيمان، وأحمد في مسنده، ٢٧/١ و٥١ و٥٣ و٣١٩.

(٢) الترمذي، قيامة، ١٧.

(٣) في الأصل «يعطهم».

(٤) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

(٥) سورة ق، الآية ١٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومرسومه، فافهم هذه السدنة[1] الصغيرة، فإنها جليلة القدر، واللّه يقول الحق، وهو يهدي السبيل، والحمد للّه وحده وصلى اللّه على سيدنا (محمد) وعلى آله وصحبه بعده، وعلى أتباعه وجنده وسلم [٩٥و].

(١) «السدن الستر والجمع أسدان»، وقيل النون هنا بدل من اللام في أسدال». لسان العرب، مادة «سدن» ٦٩/١٧، ولعل المعنى الذي قصده ابن عربي من السدنة «هو السر».

رسالة الانتصار

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

والحمد لله وحده

هذه رسالة الانتصار في جواب ما سأل عنه عبد اللطيف بن أحمد بن محمد بن هبة الله كتب بها إليه الشيخ الإمام العالم العارف المحقق محيي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الخاتمي رضي الله عنه.

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وعلى عبد اللطيف ابن أحمد ابن البغدادي سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أما بعد فإني أحمد الله على ما ألهم وأن علمني ما لم أكن أعلمه وكان فضل الله عظيماً، وأصلي على الموروثة أسراره وعلى آله الطيبين وسلم تسليماً، وقد أنهى إلي بعض الإخوان ممن يوثق بنقله ما جرى بينكم وبين الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الله لشريف أنفاسي المعروف بالصيقال من السؤالات في طريق التصوف ابقى الله رسمه وتمم علينا نعمه فيه، فأخبرني أنه ما سألكم أبو عبد الله الشريف في مسألة إلا أجبتموه على غاية الاستيفاء والايضاح من طريقة القوم وكلامهم رضي الله عنهم ثم أخبرني أنكم سألتموه عن أسولة متعددة فما أجابكم عن واحد منها ثم رغب إليكم في الجواب عنها فما أدري هل تكلمتم عليها أم لا وهنا انتهى الخبر عندي، وأنا أعزكم الله وإن كنت لم ألق الشريف أبا عبد الله المذكور مجالسه ولاخبرته ممارسة لكن أخبرني غير واحد ممن أثق بنقله إن لأبي عبد الله المذكور باعاً متسعاً ومجالاً رحباً ولا أدري هل ذلك من ذوق أو نقل لكن والله أعلم على ما وصل إليّ من شاهد حاله أنه من أهل النقل وعجز الناقل في هذا الطريق لا ينظر فإن المسائل ذوقية والناقل حال ومع هذا فإنه يحتمل وقوفه عندي لا حد أربع موانع.

المانع الأول

من طريق الوقت والمكان وذلك المسائل في أنفسها عظيمة القدر إذ هي واردة من الحضرات الإلهية على قلوب أهل الصفاء والوجود، الكلام عليها لا يصلح في كل موطن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على ما في علمكم حتى يوجد لذلك وقت وإخوان فربما حضر المجلس من لا يعرف طريقة القوم وإشاراتهم لعدم الذوق ومطالعة أغراضهم ومواظبة مجالسة شيوخهم في أوقات ميعادهم فخاف على نفسه وعلى منكر يحضر المجلس فأمسك رحمة به لئلا ينكر فبهت ولولا ما اتبع موسى الخضر على شرط عن أمر إلهي لعاقبه على فعله كما تقرر حكمه في شريعته ألا تراه لما نسي الشرط وقع الإنكار والسؤال فلما نبهه عليه سكت موسى صلى الله عليهما حتى كان من أمرهما ما كان والخضر رأس أهل الطريق وسيد الطائفة فمبنى الطريق في القول والفعل على التسليم وهو قليل.

المانع الثاني

أراد التأدب معكم والتبرك بكلامكم وأخذ الفائدة منكم لسر تخيله فيكم أو علمه فتحصل الفائدة وتكون لنفسه مجاهدة إذ السكوت عن العلم مع القدرة على الكلام من اشق ما يجري على النفس.

المانع الثالث

إن الكلام في هذا الطريق إنما هو على الفتح الموهوب اللدني لا على النظر والبحث والتفتيش وإنما هي مراي الهمم مجلوة مهيأة لتجلي الحكم وحصول المشاهدات فالقلوب إذا قامت بها الهمم صفت ونطفت فعلت فوصلت فأدركت فملكت فإن شاء تعالى وصلت وإن شاء أمسكت والصفاء أكرمكم الله يتفاضل على حسب الطريق فقد يوجد في هذا الطريق صاف وأصفى فإذا اجتمع رجلان من هذا الصنف في محل واحد صافياً وأصفى بحيث أن يكون الواحد مثلاً عنده من نور الصفا قدر نور الشمس وعند الآخر قدر نور بصر الخفاش فلا شك في مذهبنا أنه يعطى عليه بقوته ويمنعه من الكشف إذ النور عندنا حجاب لمن ضعف بصره والضعف نفس الوقوف معه اللهم إلا أن يحتجب عنه له بسحابة الرحمة والجود فيأتيه من حيث هو ويقتضي إدراكه عنه فحينئذ تقع بينهما المحادثة وهذا من الموانع العظيمة فقد يمكن أن يكون صمت الشريف من هنا.

المانع الرابع

أن يكون صمته من عجز وحصر فرب صاحب علم قد يعجز في مسائل من فروع علمه الذي هو سبيله وإذا كان هذا على هذا الحد فأراد العبد الفقير إلى الله تعالى وهو أحقر صوفي في المغرب وأقله سلوكاً وأنقصه فتحاً وأكثفه حجاباً مجاوبتكم فيما وصل إليه من سؤالاتكم لأبي عبد الله المذكور فوالله لو رأيت الواصلين منا إلى عين الحقيقة لفنيت في أول

لمحة فناءك في الحق ففتح المغرب لا يجاريه فتح إذ حظه من الزمان الوجودي الليل وهو المقدم في الكتاب العزيز على النهار في كل موضع وفيه كان الإسراء للأنبياء وفيه تحصل الفوائد وفيه يكون تجلي الحق لعباده وهو زمان السكون تحت مجاري الأقدار وهي الغاية إذا السكون عدم الدعوى لا يبقى وجوداً ولا رسماً فالحمد لله الذي جعل فتح هذا المغرب فتح أسرار وغيره فلا تفتض أبكار الأسرار إلا عندنا ثم تطلع عليكم في مشرقكم ثيبات قد فرضن عدتهن فنكحتموهن بأفق المشرق فتساوينا في لذة النكاح وفزنا بلذة الافتضاض فارتفعت همة العبد الضعيف إلى إجابتكم عند ما دخل أحرار طريقتنا في خدور الصور والتقديس عن ملاحظات الخطاب ومحاورات الكلام وإن كنت عاصياً في الجواب على أصل الطريق فالسائل بدأ بذلك وجوابنا غيره على مغربنا ولذلك ركبت هذا الصعب المهم حتى لا أقعد في مقعد العين.

قال العبد فلنقدم ما يجب أن يقدم بين يدي جوابنا فنقول والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، السؤال في هذا الطريق عند القوم رضي الله عنهم في معاني الأسرار على حد ما سألت لا يتصور أصلاً وإنما يتصور السؤال عنهم في المعاملات ونتائج المقامات على حد ما نوجهه عليكم من السؤالات في آخر المسألتين إن شاء الله وإنما قلنا لا يتصور السؤال في معاني الأسرار لما نذكره إن شاء الله وذلك أن شخصين من أهل هذا الطريق أهل الأذواق جمعهما محل واحد فلا يخلو أن يكونا في مقام واحد أو لا في مقام واحد وإذا لم يكونا في مقام واحد فلا يخلو أن يكون أحدهما دون الآخر أو فوقه وليس ثم قسم رابع وفي كل قسم ندعي أنه لا يتصور سؤال وعليه أتينا الطريق.

وذلك أنهما إذا كانا في مقام واحد فلا فائدة فيه لأنهما شربا من عين واحدة بكأس واحد وإذا قد تقرر هذا وكشف كل واحد منهما على صاحبه فلا يتصور أن يسأل أحدهما الآخر مع حصول العلم عند كل واحد منهما ذوقاً فسؤال أحدهما صاحبه عن أسرار ذلك المقام مع شهوده له فيه هذيان وفضول إذ الصوفي ابن وقته فلا يشتغل فيه إلا بما هو أولى به لأن الوقت عزيز إذا فات لا يدرك.

وصاحب الهمة يريد أن يكون الوقت له وتحت ملكه فلا يتصور سؤال بين المتكافيين إلا على ما سنذكره فيما يأتي إن شاء الله، فإذا لم يكونا في مقام واحد وعدم التكافؤ فلا بد أن يكون أحدهما في دون الآخر أو فوقه فإن كان دونه وسأله فهو عندنا سوء أدب الطريق لأشياء يعرفها كل من دخله ولهذا نرى الشيوخ الراسخة أقدامهم فيها لا سبيل أن يتكلموا السائل على سر أصلاً لأن السائل لا يخلوا ما أن يكون مبتدئاً أمياً أو قد مارس العلوم وأخذ منها بطرف أعني علوم الدرس والبحث والاجتهاد لا علوم الأذواق فكشفه إياها للمبتدي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العامي حرام لأنه وضع الحكمة عند غير أهلها وأنها تزيده عمى وجهالة وتحصل لها في نفسه فائدة فإن أخذها بتحسين في يوم ما فربما ارتد فشنع عليك بها ورماك بأحجارك والطريق مجهولة والإنكار أسرع إليها من السهم إلى منتهاه.

وإن كان السائل كما ذكرنا فهو لا يقبل شيئاً على التسليم إلا بدليل ولما كانت علوم أذواق وعسر الدليل عليها لم يبق إلا أن يدل على أن القائل بهذه العلوم ولي قداوتي الحكمة وإقامة الدليل على تصحيح مسألة من مسائل الطريق أقرب وأيسر من إثبات الولاية لشخص على التعيين إذ المخبر عن الحق بالعصمة المقطوع بها على صدقه قد فقد وهو الرسول عليه السلام فما بقي لنا إلا تحسين الظن بالله في عباده عند ظهور الطاعة منهم ولزوم التقوى وتخيل الولاية فيمن هو على هذا الوصف من غير قطع بها فلا دليل لهم رضي الله عنهم في مسائلهم على التعيين إلا على العموم مثل قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩] لكن من هو هذا من أو بأي دليل أخرجه من التنكير إلى التعريف مع أنا نعلم أن الله أولياء يلهمهم أسراره ويهبهم حكمه ولكن متى ادعاها إنسان اتهم ويتهمه الخارج عن طريقته أصلاً ومقامه فرعاً فتعين الشخص عسير جد أو لو انخرقت له العادات فما ظنك بشيخ ربما قد ارتقى عن منازل خرق العادات البشرية الحسية وانتقل إلى خرق عوائد الأسرار التي لا يعرفها إلا من هو في حزبه كيف يكون حاله مع هذا السائل له وأكثر تبيين مسائلهم بالأمثلة أو الاسترواح من الكتاب والسنة على صناعة التأويل والاعتبار وأما إن كان فوقه فسؤاله من دونه عناء ولا يتصور هذا منه لأن الأعلى عندنا متى ادعى له من دونه تحصل أسرار مقام ما فشاهد حاله يكذبه عنده أو يصدقه على هذا جرت الطريقة فسؤال من ذاق من لم يذق من سؤال العنين لذة النكاح.

اعتراض والانفكاك عنه

فإن قلت وفقك الله ينتقض عليك هذا بأنا وجدناهم يتكلمون بالأسرار السنية ويخاطب بها بعضهم بعضاً فنقول هذا لا يلزمني إلا إذا اعترضت بأن يقول يتصور الأسرار وتقيمون عليها الأدلة ثم تأخذ سراً من أسرار التصوف وتقول دليل هذا السر من العلم كذا وكذا ونبين به حقيقة السر عند السامع الخارج عن طريقك وحينئذ كان يصح اعتراضك.

وأما التحدث بالأسرار بينهم لا أنكره وأنه من باب التحدث بالنعم كرجلين أحضرهما الملك في بساط مشاهدته وارتاعا في رياض أنسه ثم انصرفا من عنده وقعدا يتحدثان بما شهده في ذلك المجلس من محادثتهما للملك ومحادثته لهما وما عايناه في تلك الروضة من اطراد الأنهار وسمعاه من نغمات الأطيار واستنشقاه من نفحات طيب الأزهار وطعماه من

فنون فواكه الثمار، فعلى هذا الوجه يكون التحدث بالأسرار بينهم لا على طلب وجه الدليل فهذا وفق الله الولي أنبئنا عليه الطريق على ما في كريم علمه.

تذكرة

ثم أذكر وليي بعد هذا فإن الذكرى تنفع المؤمنين وهو أن السؤال في هذا الطريق له شرط عظيم أعني في موضع السؤال وحيث يجب كما تقدم وهو أن يكون السائل عارفاً بمقام المسألة وقدرها ومن أين صدرت ومن حظها من الحضرات الوجودية وعارفاً بقدر المسؤول عنها ومقامه منها فإن شهد للسائل حال المسؤول بمسألته حينئذ يسأله ليجمع بين قوله إن أمكن من النطق وبين حاله إذ قد تقرر في طريقتنا أنه متى ذاق الرجل شيئاً من مقامات هذا الطريق وحصل عنده تخلقاً فلا بد له من تأثير على ظاهره أصلاً فيسمون ذلك التأثير شاهد الحال وهو الصحيح الذي يعول عليه لا الفصاحة ولا الجعجعة ألسنا نشاهدهم عند قطع الأسباب والسكون تحت مجاري الأقدار والفرح بما يرد عليهم من الله تعالى من أنواع الآلام والعذاب لا يتغيرون هذا هو شاهد الحال لهم على قوة اليقين والرضاء والتسليم لمراد الله تعالى سواء ساء ذلك أم سر نفع أو ضر إنما هم يشاهدون القائل في الفعال فلا يرون إلا حسناً ولهذا نرى كل إنسان في هذه الطريقة يتكلم وليس كل إنسان يتصف فكان ينبغي لك أيها الولي الحميم، وإن كان سوء أدب مني في حقك لكنها معاتبة وغيرة مني عليك أن تنظر إلى شاهد حال من سألته فإن شهد لك حاله برسوخه في تلك المقامات التي سألته عنها ولم يكن من النطق فعذره مقبول وشاهد حاله فصيح وإن كان على غير ذلك وسألت من لا يحب سؤاله فقد لزمك الندم والاستغفار ووجبت لك التوبة مما أتيت به والتضرع بالإقالة مما عثرت فيه.

وعرف الولي عرفه الله ذنبه وجعل ممن أثر ربه إنما أنهي إلى من أسولتكم للشيخ أبي عبد الله سوى مسألتين المسألة الواحدة كيف يجمع بين قول رسول الله ﷺ من طلب الله وجده وبين قول أبي يزيد رضي الله عنه السالك مردود والطريق مسدود، وهذا كما لا يخفى عليكم فإن القائل بالوجه الواحد ليس هو القائل بالوجه الآخر ولا يصح تعارض كلامين ويطلب وجه الجمع بينهما أو بإبطال أحدهما حتى يكون القائل لهما واحداً أو يكون من شخصين تكلما عن مقام واحد في مسألة واحدة فيكون عين ما ثبته الأول عين ما نفاه الآخر أو يوهم اللفظ ذلك مسألتنا ليس فيها من هذه الشروط شيء.

والمسألة الثانية قول الحسين بن منصور.

سقاني مثل ما يسقي ... كفعل الضيف بالضيف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما معنى هذا البيت فتعين لي أن أجيبكم عن هاتين المسألتين اللتين صحتا عندي في مقام يرتضيه الوقت ويسلمه السامع وأعرج عن المراد في تحقيقها إلا لو وقعت المشافهة ثم بعد كلامي عليهما إن شاء الله أوجه على الولي في هاتين المسألتين خمسين سؤالاً أطلب جوابه عنها تبركاً بكلامه وتيمناً بخطه والله يمد الجميع من خزائن لطائفه بالإصابة إن شاء الله.

المسألة الأولى

سأل الولي تولاه الله كيف يجمع بين قول الحبيب رسول الله ﷺ من طلب الله وجده وبين قول أبي يزيد رضي الله عنه السالك مردود الطريق مسدود قد تقدم ما وقفت عليه فنقول ينبغي أن لا يسأل عنه من شم من طريقة القوم رائحة، ولا من بدت له لائحة لقربه على الأفهام فإنه متى أمكن الجمع بين شيئين يظهر بينهما التعارض بوجه ما وبين حصل الغرض والمراد وقد يجتمعان من وجه ووجوه آخر خلاف ذلك لا يعرفها إلا من مارس العلوم ورسخ قدمه فيها ونحن الآن نجمع بينهما إن شاء الله بأيسر شيء في الطريق وستر ما فوقه وما هو أعلى منه وأغمض لعلو منصب أبي يزيد لا غير رضي الله عنه فإن النبي ﷺ ليس لنا سبيل إليه إلا بحكم الاتباع خاصة.

وأما غير ذلك من المقامات فلا، ونوجه على الولي وفقه الله بعد فراغنا من الكلام على هذه المسألة يتبين سؤالاً ولو شئنا بلغنا بها أكثر من ذلك لكن اقتصرنا على السؤالات التي تتعلق ببعض الظاهر منها وتركنا ما عدا ذلك لئلا يتعسر على الأفهام ويقال لنا من أين يلزم هذا السؤال وليس في ظاهر اللفظ ما يعطيه ولا ما شهد له فلذلك تركناها.

ووجه الجمع بينهما بالاستفضال وذلك أنا نقول قال رسول الله ﷺ من طلب الله وجده هذا صحيح لكن قوله ﷺ من طلب الله يعني بالله أو بغيره إن كان بالله فضرورة أن يجده ومن طلبه بغيره كيف يصح أن يجده ومعنى وجوده إثبات التوحيد له في ذاته وفي صفاته وأفعاله والطالب له تعالى بنفسه لا يصح له هذا التوحيد فإن الاكتساب وإن أضيف له فهو مجاز فإنه لا يصح أن يطلب الله ويجده إلا الذي يطلب معرفته تعالى بفعله لأن طلب العبد الله تعالى إنما هو فعل من أفعال الله خلافاً لما يدعيه مخالفوا أهل الحق فإن وجود الحق في حق من طلبه به يجعل الواحد له كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف شاء ومن تكون له إرادة فليس بميت ولا خرج من رق الدعوى والطالب له بنفسه من هذا القبيل نعوذ بالله لا أشرك به أحداً.

فإذا تقرر مفهوم هذا اللفظ فقول أبي يزيد رضي الله عنه السالك مردود والطريق مسدود

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يجتمع مع هذا الخبر الصدق ويكون هذا الكلام في حق الطالب نفسه لأنه لا يصح له وجود أبداً ونفس السلوك هو الطلب فلا فرق بين أن يقول طلب أو سلك فما دام السالك يثبت لنفسه سلوكاً من نفسه ومعنى هذا أنه يشاهد في سلوكه نفس سالكه بإرادتها اختياراً منها وغاب عنه في ذلك المقام أن الله آخذ بناصيته كما دل عليه النص والعقل فهو مردود، وعين سد الطريق دونه فقده لوجود التوحيد الذي ذكرناه لأنه كيف يصح أن يجده فاعلاً على الإطلاق والكمال وهو يجعل معه في ملكه فاعلاً غيره مثل المعتزلي وإن كان مسلماً مؤمناً فإنه طالب لله تعالى ومع كونه طالباً يضيف الطلب لنفسه حقيقة وجميع أفعاله التي تحت اختياره، فانظر هل وجد الله من يكون سلوكه على هذا المنهج قط.

فإنما أراد أبو يزيد في ظاهر التصوف ما ذكرناه آنفاً، وأما في باطن التصوف عند التحقيق وفي أي مقام نطق بهذا الكلام وأي شيء كان المتجلى له في ذلك الوقت فليس هذا موضعه وقد اعتذرنا عنه وقد ظهرت المسألة بحمد الله تعالى وجمع بينها وبين كلام رسول الله ﷺ وبعدما تقرر هذا فإني أوجه على الولي وفقه الله في هذه المسألة ثلاثين سؤالاً.

الأول: لم خصص اسم الله في قوله من طلب الله دون غيره من الأسماء.

الثاني: هذا الطلب كيف يكون مقيد المعنى أولاً مقيداً كقوله ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

الثالث: ما سبب هذا الطلب.

الرابع: هل هذا الطلب من المقامات المستصحبة أم لا.

الخامس: الطلب في أي مقام يكون.

السادس: قوله من طلب هل هو على حده من العموم أو يراد به الخصوص.

السابع: الكلام في هذا الطلب هل هو من لوح المحور والإثبات أومن أم الكتاب.

الثامن: هل هو على الشرط أو على الخير.

التاسع: هذا الوجود هل هو وجود الذات نفسها أو غيرها.

العاشر: هذا الطلب هل هو بالجسم أو بالهمة أو بهما معاً.

الحادي عشر: هذا الوجود هل هو من الوجود الذي يصح بعده الرجوع.

الثاني عشر: هذا الوجود هل يبقى معه رسم أم لا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الثالث عشر: هذا الوجود هل هو وجود مكاشفة أو وجود مشاهدة.

الرابع عشر: هذا الوجود هل هو من مدركات السر خاصة أم لا.

الخامس عشر: هذا السالك ما هو.

السادس عشر: متى كان هذا السالك سالكاً.

السابع عشر: إذا رد هل يزول عنه اسم السالك أم لا.

الثامن عشر: الطريق ما هو.

التاسع عشر: هل أراد طريقاً معيناً أو جميع الطرق التي للتصوف.

العشرون: كيف يكون السر.

الحادي والعشرون: كيف يكون هذا الرد.

الثاني والعشرون: أين يصل هذا السالك وحينئذ يرد.

الثالث والعشرون: هل هذا الكلام حال أو نقل.

الرابع والعشرون: السالك هل أراد به الجنس أو العهد.

الخامس والعشرون: بما يرد.

السادس والعشرون: بماذا يسد.

السابع والعشرون: لاي شيء يرد.

الثامن والعشرون: لأي شيء يسد.

التاسع والعشرون: هل هذا السلوك يصح معه وصول أم لا وإنما منع ذلك أبو يزيد لعلة.

الثلاثون: كيف يجمع بين الحديث وكلام أبي يزيد من غير هذا الوجه الذي ذكرناه فهذه وفق الله الولي ثلاثون سؤالاً على الاختصار وتركنا من الأسولة التي تتعلق بظاهر المسألة جملة.

المسألة الثانية

وهي قول الحسين رضي الله عنه

سقاني مثل ما يشرب كفعل الضيف بالضيف

الصوفية وفق الله وليّ، أضياف الله تعالى في الأرض وردوا عليه من الاغيار ونزلوا بحضرته فأضافهم بمعرفته ولهذا قيل لشيخ الشيوخ جعفر بن أبي مدين رضي الله عنه كان بتجانة رحمه الله في قطعه الأسباب وجلوسه مع الحق تعالى في بساط مشاهدته فقال شيخ الشيوخ الضيف إذا ورد على أحدكم فإنه في كنفه وتحت كرامته ثلاثة أيام بعد ذلك يقال له احترف في تلك الثلاثة الأيام فهو غير عارف بالسنة وإن تركه صاحب المنزل فهو عارية، قيل له صدقت فقال رضي الله عنه فإن كانت الضيافة ثلاث والصوفية أضياف الله تعالى على ما قدمنا فليس لنا أن نحترف حتى تكمل لي ضيافتي بكمال الثلاثة الأيام وأيام الله كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] فيأخذ ضيافته على حسب أيامه فإذا كمل لي في بساط حضرته ثلاثة آلاف سنة ثم لا احترف بعدها حينئذ يقول لي ترك السنة قم فاحترف، فانظر هذا النور الإلهي ما أسناه وإنما سقنا هذا القول تمهيداً القوله كفعل الضيف بالضيف، ثم نقول الجواب وفقك الله عن هذه المسألة من وجوه على حسب المقامات حتى لو نطق الرجل بهذا الكلام من غير هذا المقام الذي يعرفه فيه لكان شرحه على وجه آخر غير الوجه الذي نورده في شرحه إن شاء الله، ولقد رأيته في النوم فسألته ما معنى قولك سقاني مثل ما يشرب فأجابني ليس كمثله شيء والكلام عندي فيه من صفات الجلال ومن صفات الكمال ومن السبع المثاني ومن قوله يحبهم ويحبونه ومن أشياء أخر لكن اضطرني حال الرجل إلى الكلام عليه من مقام شهد الله أنه لا إله إلا هو لقوله.

ما قد لي عضو ولا مفصل إلا وفيه لكم ذكر

وليس يريد الذكر الذي يكون معه الحجاب فإنه قد نبه عليه بقوله ولو وقعت المشافهة بيننا لكان الكلام أبسط وأتم ولكن أجيبك إن شاء الله على أني في حال قبض وهيبة فأقول والله يقول الحق وهو يهدي السبيل نطق الرجل رضي الله عن ذوقه وأعرب عن حاله وصرح بما وصل إليه وذلك أن رب العزة لما أقعده في بساط المنادمة وهو أول مقامات الأنس أدار عليه كأس راح الارتياح إليه لشراب ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨] الممزوج بماء العناية فلما تحساه وسرى في أعضائه أخذته أريحة الطرب وسكر ذلك المقام فكشف له عن سره فرأى توحيد رب العزة وقد تقرر في سره في توحيده في ذاته وصفاته وأفعاله ثم نظر إلى عالم الله تعالى فوجد أن رب العزة توحيده في علمه القديم القائم به عليّ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فصاح لما عاين ذلك منشداً (سقاني مثل ما يشرب) فكنى بالشرب عن العلم القديم وكنى بالمثل حملاً على نفسه وتجوزاً في لفظه إذ الشرب بعد عدم سابق وشرك حاصل والقديم منزه عن هذا كله والشعر موضع تجوز فلما صدر منه هذا القول جرد رب العزة سيف العين وضرب عنقه بيد ليس كمثله شيء على نطع الفناء الكلي عند دور كأس معرفة المشاهدة فعند ذلك قال.

فــلــمــا دارت الــكــأس دعــا بــالــنــطــع والــســيــف

ثم قيل له ناد عليك بلسانك وصف الحالة ونزه قاتلك ونديمك عن الحيف فإني سأظهر فيك عجباً فنادى بلسانه على نفسه قبل أن يؤخذ من تركيبه ومحبسه وقال:

نــديــمــي غــيــر مــنــســوب إلــى شــيء مــن الــحــيــف

ســقــانــي مــثــل مــا يــشــرب كــفــعــل الــضــيــف بــالــضــيــف

(فلما دارت الكأس دعا بالنطع والسيف ـ كذا من يشرب الراح مع التنين في الصيف)

ثم رده إلى وجوده بسكره كما ذكر فصلب كما شهر.

اعتراض: فإن قلت وفقك الله أن المقام الذي أشرت إليه في المسألة من التوحيد هذا هو اعتقاد أهل السنة وفيه أفنت الأشعرية أعمارها حتى علمته فأي غريبة أتى هذا الصوفي أو بأي صفة زائدة ورد علينا.

انفصال: قلنا صدقت وفقك الله فيما قلت لكن بين الصوفي والأشعري في هذه المسألة ما بين علمت وعاينت هو المعنى اللطيف الذي يفضل به الشاهد الغائب. إن علمنا قطعاً أن الخليفة في الوجود لسنا كمن شاهده وشاهد حضرته فلقد في مشاهده صفة واحدة من صفات جلال الله عند فنائك عن نفسك نعني كل أشعري على البسيطة ليس بصوفي ولهذا قيل.

ولــكــن لــلــعــيــان لــطــيــف مــعــنــى لــذا اســأل الــمــعــايــنــة الــكــلــيــم

وهذا هو عين اليقين الذي يفضل علم اليقين.

ودليلي على ذلك أن أهل السنة وإن كان هذا هو اعتقادهم فإنهم يتغيرون عندما تجري أمور الله تعالى عليهم على غير مرادهم مخالفة لأغراضهم فكيف عند حلول البلايا العظيمة وهذا لعدم مشاهدة المعذب في العذاب أو المنعم في النعمة وهذا الرجل صاحب البيت وكل من حصل في مقامه لا يتغير لذلك بل يلهج فرحاً بمراد الله تعالى فيلحظه ساكناً تحت مجاري الأقدار وسكونه عبارة عن ترك الاعتراض في فعله فيه فبهذا فضلت هذه الطائفة غيرها وقد شوركوا في العلم وهذا القدر كاف في الجواب عن هذه المسألة.

وأنا أوجه على الولي وفقه الله في هذا البيت عشرين سؤالاً على التحرير كما تقدم في المسألة الأولى.

السؤال الأول: من أي مقام نطق صاحب هذا البيت بهذا الكلام هل من مقام الجمع أم من مقام الفرق ويتوجه عليك في أي مقام أدعيته منهما سؤالان.

السؤال الأول: إن كان في مقام جمع ففي أي جمع، في جمع الهمم أو في جمع الأسرار. وإن ادعيت أنه كان في الفرق ففي أي فرق في فرق السلوك أو في فرق الرجوع.

الثاني: هذا السقي ما هو.

الثالث: كيف يكون هذا السقي.

الرابع: بماذا يكون.

الخامس: في أي مقام يصح.

السادس: هل هو من السقي الذي يكون عنه السكر أم لا.

السابع: هل يصح بعد هذا السقي صحو أم لا إن كان يولد السكر.

الثامن: هل يستصحب هذا السقي المقامات أم لا.

التاسع: هل روي بهذا السقي أم لا.

العاشر: هل هذا السقي سقي فناء أو سقي بقاء.

الحادي عشر: الساقي المضمر في سقاني من هو.

الثاني عشر: المثلية لغوية هي أم عقلية.

الثالث عشر: هذا الشرب ما هو.

الرابع عشر: الشارب المضمر في شرب من هو.

الخامس عشر: كاف الصفة من فعل هل هي ومثليه الشرب على حدوا حدام لا.

السادس عشر: الضيف بالضيف هل أراد ضيفين في بساط مستضاف غيرهما أو كنى بالضيف الواحد عن المستضاف تجوزاً.

السابع عشر: هل حكم الضيف هنا حكم ضيف العامة أم لا.

الثامن عشر: هل خاطب وجوده بوجوده أو هل خاطب موجده فهذه ثمانية عشر سؤالاً، والسؤالان اللذان في الجمع والفرق في أول سؤالات هذه المسألة فهذه عشرون سؤالاً ومثل الولي وفقه الله من يتفضل بجواب وليه في الخمسين سؤالا مع حامل ويفيض عليكم بمواده العلية الكتاب لا زال الحق يمدكم بأنواره من الحضرة الربانية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تمت الرسالة بحمد الله ومنه والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتاب المنزل القطب ومقاله وحاله

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على النبي وآله وسلم تسليماً

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً.

اعلموا وفقكم الله أن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه جعل منزل القطب من الحضرة منزل السر وهجيره من الأسماء الإله ثم جعل منزل الإمام الذي عن يسار القطب منزل الجلال والأنس وله الاسم الرب فله صلاح العالم والنبات وعنده سر البعدية وبيده المقاليد وهو السيد الطاهر في العالم وهو سيف الإمام القطب ثم جعل منزل الإمام الذي عن يمين القطب منزل الجمال والهيبة وله الملك والسلطان بالمقام لا بالفعل وبيده مقاليد عالم الأرواح المجردين عن الصور المسخرين وكيف هيأتهم في الحضرة الإلهية أن القطب وجه بلا قفاء قال ﷺ «إني أراكم من وراء ظهري» فأثبت الظهر حكماً على المادة ونفى حقيقته بوجود النظر منه وجعل الوراء إثباتاً لفقدهم وجعل إمام اليسار ذا وجهين وجه مركب وهو ما يقابل به العالم ووجه بسيط وهو ما يقابل به القطب وجعل إمام اليمين ذا وجه واحد واقفاً ثم غيبه عن الشعور بقفاه فلو سئل لقال إنه وجه بلا قفاء وقد بينا منزل الإمامين في الفلك القلبي من كتاب مواقع النجوم ونحن نتكلم إن شاء الله في هذا الباب على منزل القطب والإمامين بما يليق من هذا الكتاب.

منزل القطب ومقامه وحاله

القطب مركز الدائرة ومحيطها ومرآة الحق، عليه مدار العالم له رقائق ممتدة إلى جميع قلوب الخلائق بالخير والشر على حد واحد لا يترجح واحد على صاحبه وهو عنده لا خير ولا شر ولكن وجود ويظهر كونها خيراً وشراً في المحل القابل لها بحكم الوضع عند أهل السنة وبالعرض والعقل عند بعض العقلاء قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: ٨] وضعاً صحيحاً من سر الآلهي ثم ظهرت الجنة والنار وجميع النسبة في الوجود نظير الحضرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذاتية الآلهية ومنها قوله تعالى والله باسم الذات الجامع يقبض ويبسط وبيده المنع والعطاء وعلى التحقيق الذي لا خفاء به عند المحققين أن ماثم منع البتة بل عطاء سرمد لا ينقطع وفيض دائم وإنما المنع في الوجوب الإلهي الذي أطلق عليه لأمرين، الواحد أن المعطون ليس من حقائقهم أن يقبلوا العطايا كلها في الزمن الواحد لكن يقبلوا بعضها فعدم القبول للبعض سميناه منعاً إلهياً إذ قضية العقل عند من يعتد بهم عقولهم يعطى إن لو شاء لأعطى الممنوع الممنوع له في الزمن الذي منعه إياه وهذا صحيح ولكن لو حرف مشوم ما اقترن قط إلا بما لا يكون قال تعالى: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [الزمر: ٤] ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ [الأنبياء: ١٧] ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣].

وأما الأمر الذي لأجله سمي مانعاً وليس بمانع وذلك أن العقول تقصر عن درك بعض ماهيات الموجودات فإن الحدود الذاتية عسيرة المنال وأكثر العقول إنما تعرف الأشياء بالحدود الرسمية واللفظية فافاض الحق جوده على الأشياء فيضاً مطلقاً كفيض الشمس نورها على الأرض للمبصرين فاختلف القبول لاختلاف المجال لا أن النور مختلف ولكن قبول الأجسام الصقيلة له ليس كقبول الأجسام الدرنة.

وأما من هو في كن فليس له إلا ضد النور وهو عطاء أيضاً فيصف المنع هذا المحروم الممنوع للحق وهو الذي حجب نفسه إما بحقيقته وإما بعرض مثل الفعل والكن والران والضدا وغير ذلك من العوارض التي يمكن زوالها ولكنه مدركه لحجبها إدراكاً صحيحاً ولسوقها إلى غير حجبها سميت ممنوعة مما تشوقت إليه فمنزل القطب حضرة الايجاد الصرف فهو الخلفية ومقامه تنفيذ الأمر وتصريف الحكم وحاله الحالة العامية لا يتقيد بحاله تخصيص فإنه الستر العام في الوجود وبيده خزائن الجود والحق له متجل على الدوام.

ولهذا قال الصديق ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله وله من البلاد مكة ولو سكن حيث ما سكن بجسمه فإنه محله مكة ليس إلا ولا بد لكل قطب عندما يلي مرتبة القطبية أن يبايعه كل سر وحيوان وجماد ما عدا الإنس والجان إلا القليل منهم فقد صنفنا في هذه البيعة وكيفية انعقادها كتاباً كبيراً سميناه كتاب مبايعة القطب في حضرة القرب. فالإسرار إليه منصة إذا كان المحبوب يعرفه كل شيء فكيف القطب الذي توقفت عليه حوائج العالم من أوله إلى آخره قال عليه السلام إذا أحب الله عبداً أخبر به حملة العرش وأمر جبريل أن ينادي في السموات باسم ذلك العبد حتى يعرفوه ويحبوه ثم يوضع له القبول في الأرض ولهذا رأيت من رأى الحية العظيمة التي طوق الله بها جبل قاف المحيط بالأرض وقد اجتمع رأسها مع ذنبها فسلم عليها فردت عليه السلام ثم سألته عن الشيخ أبي مدين الكائن بجابية من بلاد

المغرب فقال لها وأنى لك بمعرفة أبي مدين فقالت وهل على وجه الأرض أحد لا يعرفه إن الله تعالى منذ وضع اسمه على الأرض ما بقي منا أحد إلا عرفه هذا حال المحبوب فكيف حال القطب الذي هذا المحبوب حسنة من حسناته وبه صلاح العالم وإليه ينظر الحق في الوجود ونرجو إن شاء الله عن قريب يظهر عنه للخاص والعام فالزموا طريقته وعضوا عليه بالنواجذ.

وسأل بعض العارفين عارفاً آخر وأنا حاضر بمدينة فاس عن شخص الوقت هل هو الآن موجود أم لا فقال المسؤول لا ولكنه ينتظر فعرفنا قصوره وقلت ما عنده من معرفة سر الله المبثوث في العالم شيء فلو علم أن القطب صاحب الوقت ما من يهودي ولا نصراني ولا نحلة من النحل وملة من الملل إلا ونفسها صبه إليه محبة فيه للسر المودع عنده وإنما تنكر الاشخاص للجنسية وهي الفتنة الإلهية قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩] وقال: ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥] ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ [هود: ٢٧] وقال: ﴿يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٣] فهم ينظرون ظاهره إنكاراً يؤدي إلى الموت وهم يعشقونه بأسرارهم ولكن ليس لهم علم بأن هذا الشخص المطرود هو الذي عنده السر الذي تعشقوا به، ولهذا كان عليه السلام يقول اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون، وهكذا يقول المحمدي مناحين قال من نزل عن هذه المرتبة ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] وهكذا يقول من ورث غير المحمدي منا فالقطب يتعجب ممن يقاتله عليه فإن السر الذي قاتل الكفار عليه الأنبياء وذبوا عنه هو الذي جاءت به الأنبياء واتصفت به فلما كان الظاهر ضيقاً لأنه طرف قرن الصور انضغط العالم فيه فحارت الأسرار لذلك الانضغاط فلو انفسحت انفساح الملائكة لنظرت إلى الحق وهي مشتركة فالأقطاب متفاضلون في هذه المرتبة قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]فأكمل الاقطاب المحمدي وكل من نزل عنه فعلى قدر من ورث فمنهم عيسويون وموسويون وإبراهيميون ويوسفيون ونوحيون وكل قطب ينزل على حد من ورثة من الأنبياء والكل في مشكاة محمد عليه السلام الأمر الجامع للكل وهم المتفاضلون في المعارف غير المتفاضلين في نفس القطبية وتدبير الوجود فإن هذه الدورة المحمدية الذي الولي فيهابنى ليست مثل الدورة الترابية فإن الدورة الترابية كان يوجد في الزمان الواحدنيين وثلاثة وأكثر، كل شخص لطائفة مخصوصة كإبراهيم ولوط في وقت واحد في تلك الدورة تقتضني ذلك بحقيقتها وهذه الدورة العلوية المحمدية ليست كذلك فإن الزمان قد استدار كأوله ولهذا قال عليه السلام لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني وقال إذا بويع الخليفتين فاقتلوا الآخر منهما فليس الحكم كالحكم ولا الدورة كالدورة وقد تقدم الكلام في استدارة الزمان من هذا

أولياء هذه الأمة فقد جمع ﷺ بين النبوة في دورته والولاية في دورتنا فله حشران.

فإذا قلت فيه ولي فالصديق خلفه وغيره وإذا قلت عليه السلام إنه نبي رسول فالصديق أمامه وغيره فما أعجب معرفة الحقائق وهكذا الناس وكل رسول أدرك محمداً بهذه المثابة ولهذا قال ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] فكانا للناس مثل النبي للناس ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أي خيار التكونوا شهداء على الناس ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] فجعل حكمنا ومنزلتنا في غيرنا من الأمم منزلة الرسول منا فنحن في حقهم رسل ولهذا قال عليه السلام علماء هذه الأمة أنبياء سائر الأمم في هذه المنزلة والمرتبة وكما يحشر كل نبي مع أمته كذلك يحشر كل قطب مع أهل زمانه صالحيهم وطالحيهم وأعجب ما عندنا من العناية الإلهية التي صحت لنا بمحمد ﷺ أن الرسول يحشر جري الحكم لاقترانه أنه بطائفة مخصوصة والقطب منا ليس كذلك فإنه عام جامع لكل من في زمانه من بر وفاجر وإن كان ورثه عيسوياً أو موسوياً فلا يقدح ذلك فيه فإنه من مشكاة محمدية فله المقام الأعم وقد نبه عليه ﷺ فقال عن طائفة ليسوا بأنبياء يغبطهم النبيون للبركة المحمدية التي نالتهم من المقام الاعم وسيأتي إن شاء الله من هذا الكتاب أبواب كثيرة من أحوال الأقطاب وتفاضلهم في المنازل مستوفى إن شاء الله تعالى، وبين أيدينا اليوم تلميذ يخدمنا أرجو أن يكون منهم من أكابرهم وقد بشرنا بذلك وأما مناجاة هذا المنزل المبارك فأنا أذكرها وحينئذ اذكر منزل الإمامين إن شاء الله من هذا الباب.

مناجاة هذا المنزل المحمدية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

تلك تميمة الولهان لطارق الإنس والجان، فقل أعوذ بالإله الملك الرب من شر ما يغرا في القلب، حاك في الصدور، محدثات الأمور وسمة القلوب في طلب الغيوب بالسر الموهوب ذلكم حكم الله يحكم بينكم، يا أيها الناس أنتم ثلاثة أطباق هلال الطبقتين في محاق وشمس الواحد في إشراق إن ربك هو الخلاق العليم، يصلح العالم بعلمه ويؤتي الملك بحكمه وينفرد الوسط وإن تأخر في المسطور بسر نظمه إن حكيم عليم سر الغيب والشهادة علم في رأسه نار يضيء للبصائر السليمة والأبصار، فالله يعلم ما يسرون وما يعلنون من جاء ثم حبس لم يزل في لبس من خلق جديد والله على كل شيء شهيد، ختمت اللهم بحق إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ومحمد والحسن والحسين صلى الله عليهم أجمعيهم إلا ما شفيت صاحب هذه الأسماء وحاملها من كل داء وعصمته من شر كل شر يهجس في النفس

(١) هكذا في الأصل ولعل المقصود (المناجاة المحمدية لهذا المنزل) والله أعلم.

الذي على يسار القطب بينه وبين منزل الاتحاد أن يموت القطب فينتقل السر إليه فإن الاتحاد للقطب فإن الإمام قد يموت في إمامته ويلي مكانه الإمام وينتقل واحد من الأربعة إلى مكانه الإمام الآخر وهكذا يتفق في الإمام الآخر ولهذا الإمام المسمى برب العالم وهو عبد الرب.

فما قاتلوا عن ربهم وربيبهم ولا آذنوا جاراً فيظعن سالماً

فعبد الإله هو القطب وليس عند الله أحد البتة وهذا الإمام عبد الرب والإمام الآخر عبد الملك وأسماء بقية العبيد على حسب مقاماتهم فلهذا الإمام معرفة سر الأسرار وله التدبير الإلهي وله في العدد أسرار الإلهية لا يعرفها غيره ويختص هذا الإمام بعلم الصنعة المعشوقة ويعلم خواص الاحجار وهي عنده مكتمة وربما قد يحصل له من معرفة أسماء الانفعالات ما يكون منها حقيقياً وله في المحاربات والمكائد أمر عجيب وهو على النصف من عمره مع العالم وعلى النصف مع القطب أو الحق المخلوق على السواء إلى أن ينتقل إلى القطبية أو يموت وقد تظهر صولته في عالم الكون بالسيف وقد تظهر بالهمة على حسب ما سبق له في الأزل وهذا الإمام عنه تظهر أسرار المعاملات على هذه الهياكل الترابية وله خمسة أسرار، سر الثبات به يعلم حقائق الأمور وبه يدبر ويفصل ويولد ويزوج ويعبر على سر الرموزات وفك الطلسمات وأصول الأشياء الظاهرة والباطنية والحقيقة وغير الحقيقية وله خرق السفينة وله إقامة الجدار وليس له قتل الغلام من حاله وكشفه فإن قتله يوماً ما فعن أمر القطب.

وأما السر الثاني من الخمسة فهو سر التمليك به يرحم الضعفاء وينجي الغرقى ويكسب المعدوم ويقوي الضعيف ويحمل الكل ويعين على نوائب الحق ويجود على من أساء ويعفو عن الجرائم ويصفح ويقيل العثرات ويجمع بين المتعاشقين والوالدة وولدها وهو يطوي الطريق على القاصدين لما اشتاقوا إليه وما أعطته الحقيقة الرحمانية على عمومها من هذا السر ينبعث ظهوره في الوجود.

وأما السر الثالث فهو سر السيادة وبه يفتخر ويبدي حقيقته ويقول «أنا سيد ولد آدم» وإني أنا الله لا إله إلا أنا وسبحاني وما في الجبة إلا الله وما أعطته الحقيقة التي تظهر مكانته ورفعته فمن هذا السر.

وأما السر الرابع فهو سر الصلاح وعن هذا السر الذي له يحمل الخلق على المكاره التي فيها نجاتهم وتجنبهم عن الملذوذات التي فيها هلاكهم وبهذا السر يحول بين الولد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ووالدته وبين المتعاشقين وإن تحابا واجتمعا لله وفي الله ويسعى في تفريق الشمل بين المخلوقات فإن هذا السر يعطيه بحقيقته أن الأشياء القلبية لم يخلق بعضها لبعض ولا يغيرها إلا الله فهو يردها إلى مقام التفريد إلى الله وهو الذي أريدت له ولذلك قال ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦] أي ليعرفون ولم يقل وما خلقت الجن والإنس إلا ليأنس بعضهم ببعض ولا يتعشق بعضهم ببعض ولا يتعرف بعضهم أسرار بعض وإنما خلق المكلف من أجله فلا ينظر إلى غيره فبهذا السر يقطع الإمام القلوب عن غير الله ويردها إلى الله وما من حالة من هذه الأحوال إلا والناس يجدونها في نفوسهم ولا يعرفون من أين تنبعث ومعدنها قلب هذا الإمام فهو في حكمه على حسب السر الذي يقوم في حق الشخص المنظور إليه مما سبق في علم الله منه فيقم السر في قلب الإمام على ذلك وما أعطته الحقيقة التي فيها صلاح الخلق عن هذا السر ينبعث.

وأما السر الخامس فهو سر التعدية وبه ينزل المطر ويدر الضرع ويطيب الزرع وتحدث الشهوات وتنضج الفواكه وتعذب المياه وبه تكون القوة تسري في أهل المجاهدات والمحاضرت حتى يواصلون الأيام الكثيرة من غير مشقة والسنين العديدة من غير التفات ولا ضرر وله تمد الحقيقة الإبراهمية والميكالية والمحمدية والإسرافيلية والجبريلية والآدمية والرضوانية والمالكية فإن مدار بقاء العالم على هذه الثمانية وسر بقاء العالم غذاؤه ولهذا الجوهر غذاؤه تجديد أغراضه على الدوام والتألي فمهما عري عنه زمناً فرداً عدمت عينه وبهذا السر غذاء الأغذية وقد ذكرناه في مواقع النجوم في بعض النسخ لأنا استدركناه في الكتاب وقد خرجت منه نسخ في العالم وما أعطته الحقيقة التي بها بقاء العالم ظاهراً وباطناً جسماً وروحاً ونفساً فعن هذا السر ينبعث فهذه خمسة أسرار يختص بها هذا الإمام واسمه عبد الرب.

وفي هذا المقام عاش الشيخ أبو مدين بتجانة إلى أن قرب موته بساعة أو ساعتين خلعت عليه خلعة القطبية ونزعت عنه خلعة هذا الإمامة وصار اسمه عبد الإله وانتقلت خلعته باسم عبد الرب إلى رجل ببغداد اسمه عبد الوهاب وكان الشيخ أبو مدين قد تطاول له بها رجل من بلاد خراسان مات الشيخ قطباً كبيراً وكان له من القرآن ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] وسيأتي الكلام على حاله عند ذكر أبواب الاقطاب من آخر الكتاب.

منزل الإمام الروحاني

الذي على يمين القطب اعلموا أن هذا الإمام صاحب حال لا صاحب مقام مشتغل بنفسه من جهة مالكه واسمه عبد الملك وإضافته إلى الخلق إضافة غير محضة متمكن القدم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الروحانية له علم السماء وليس عنده من علم الأرض خبر للملأ الأعلى به تعشق وله نشوف أكثر من الإمام الأول لقوة المناسبة وليس عنده سر إلا منهم ولذلك هو غير مخلص فإنهم رضي الله عنهم على ضربين محمول وغير محمول فالأول قائم بنفسه غير محمول وهذا محمود غير قائم واقف خلف حجب السبحات يرى نفسه وربه على حكم ربه لا على حكم نفسه بخلاف من نزل عن مرتبته فإنه يرى ربه على حكم نفسه وأوقاته مشغولة بما هو فيه فهو للقطب مرآة والآخر للقطب محل ومرآة.

وإن كان الأول حظه اللوح والقلم الأعلى فحظ هذا الثاني الإلقاء بما يناسب العلو وله سران سر العبودية وسر السيادة فبسر العبودية هو يسبح الليل والنهار لا يفتر فالتحق بالعباد المكرمين غير أن المقام فيه أمر سفلي فإن الأعداء نطقوا بأنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمٰن إناثاً فإضافتهم إلى الرحمٰن إضافة محضة خالصة ولهذا انسحب عليهم اسم الأنوثية فلو كانوا عباد الإله لغلبت عليهم الذكورية وعبد الملك من عباد الرحمٰن ولذلك هو منكحه للروحانيين تلقى إليه وتنزل فيه ولا يلقى إلى أحد ولا ينزل في أحد فالأسرار والمعارف والعالم العلوي نكحه وهو لا ينكح أحداً.

وكذلك كل روحاني من الملأ الأعلى إذا لم يكن لهم في العالم السفلي أثر فهم منكوحون غير ناكحين ومن كان منهم له عندنا أثر فهو منكوح وناكح فغلب عليه التنكير لأنه الأسبق والأشرف تقول العرب الفواطم وزيد خرجوا ولم تقل خرجن وإن كان التذكير واحداً والفواطم جماعة فالتغليب للذكر فتفهم هذا فإنها إشارة لطيفة دقيقة فعبد الملك مؤنث علوي صحيح الحال سعيد فارغ من الكون واقف بين يدي الحق وهو كان الغالب من حال صاحب محمد بن علي بن عبد الجبار النفزي صاحب المواقف فهذا قد ثبت في هذا الباب وقد تقدم الكلام في أول الكتاب على القطب وحقيقته ومنسبه ومصدره وأنه واحداً على سر القطبية فانظره هناك.

محاضرة قطبية

في حضرة عينية كنت ببلاد المغرب بمدينة فاس وقد أنست من نفسي بعض إيناس بما استمرنت عليه من العوائد وذهلت في ذلك الحين عن مشاهدة المشاهدة فتنبهت فإذا بالكون قد أخذ بخناقي وشد أسري ووثاقي وأحاطت بي ذنوب الحجاب فقمت قائماً خلف الباب طوراً أقرع وطوراً أتسمع فإذا بالباب قد فتح ففرح صدري وشرح وإذا بالقطب واقف فتبسم وقال ما يريد العارف فقلت لي إلى ملائنا العلوي ارتياح لصفات ظهرت علينا قباح وأنا قد وقفت من سري على ما يكون من أمري وإنما غرضي لذة الحال واحد في الترحال.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد نظر في الملأ الأعلى بعين السخرية والازدراء فقال اكتب عني ما يبدو لك مني فما زلت أنظر إليه والأسرار ترد علينا وما يريده القطب ماثل بين أيدينا فانشدته عنه في ذلك المشهد العيني والسر الربي فكأني بلسانه أتكلم وعن ضميره أترجم حتى أتيت على آخر النظم فأمرني بالكتم فكتبت الكتاب وسارت به الهمة على براق الصدق إلى أن حطت بالأحباب فعرفوا مقدارهم.

فصل

قال يوسف بن الحسين سمعت ذا النون المصري يقول لبعض من يزور أبا يزيد قل لأبي يزيد إلى متى هذا النوم والراحة وقد جازت القافلة قال فخرج الرجل قاصداً لأبي يزيد وسلم عليه وقال له ذو النون المصري يقرئك السلام ويقول لك إلى متى هذا النوم والراحة وقد سارت القافلة فقال أبو يزيد قل لأخي ذي النون أن الرجل كل الرجل من ينام الليل كله فإذا أصبح أصبح آمناً في المنزل قبل نزول القافلة.

قال فرجع الرجل إلى ذي النون فأخبره فقال هذا كلام لا تبلغه أحوالنا هنيئاً له هذا المنزل منزل عال شريف فيه أسرار عجيبة ومعان لطيفة القائم بهذا المنزل عبد الرب وهو الإمام الأكمل الذي تقدم فيه سر الصباح والظلام والذحول والنمائم والرموز والتحاسد سلوك أهل الطريق إلى الحق على طريقين طريق يسلكونها بأنفسهم وهو قوله من عرف نفسه عرف ربه وطريق يسلك بهم عليها وهذه حالة المرادين المنقطعين والأولى حالة المريدين والمنقطعين ومع هذا فكلا الفريقين سالك وإن سلك به ومثالهما في السفر الحسي سلوك المشاة في قطع المفازات وسلوك راكبي البحر ولهذا شبه بعضهم سير العمر بالإنسان براكب البحر قال قائلهم.

فسيرك يا هذا كسير سفينة ... بقوم قعود والقلاع تطير

فيظهر من كلام أبي يزيد أنه يريد هذا السفر بقوله أصبح آمناً في المنزل قبل نزول القافلة فدل كلامه على أنه طالب ما طلبت القافلة فزاد عليهم بالراحة والنعيم مثل الفقراء مع الأغنياء بنصف اليوم الذي يختصون به في نعيم الجنة ثم تقع الشركة بعد ذلك هذا هو الظاهر من كلام أبي يزيد ولكن له عندنا مدرك رفيع خلاف هذا مذكور في شرح أحواله في الكتاب الذي سميناه مفتاح أقفال إلهام التوحيد فلينظر هناك ثم نرجع ونقول قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] وقال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: ٨، ٩] ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١﴾ [النجم: ١١] وقال ما وسعني أرضي ولا سمائي وقد وسعني قلب عبدي وهذه بحور لا سواحل لها ولكن لا بد لنا أن نظهر منها قدر

ما يليق بهذا الكتاب حتى نستوفيها على مقتضى ما تعطيه مرتبة هذا الكون إن شاء الله فاعلم أن القلوب التي اعتنى الله بها على ضربين قلوب غلب عليها الشوق وقلوب لم يغلب عليها الشوق فالقلوب التي لا شوق لها وصلت إلى شاهد علمها بسير من أنواع المعاملات وقنعت واطمأنت ولذا قيل للمطمئنة ﴿ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٨] وأين هذا المقام من قوله ألم ترا إلى ربك ثم سدل الحجاب فقال كيف مد الظل فرده إليه فواحد يدعوه من نفسه الأضعف والأقوى والأكبر والأصغر والأعلى والأسفل والأشرف والأوضع، وجهان وجه يجتمع به مع ضده يدل على الله ووجه ينفرد به كل واحد عن صاحبه يدل به أيضاً على العلم بالله فالطرق وإن تنوعت وتشعبت فكلها منه انبعثت وإليه تعود كالخطوط الخارجة من نقطة الدائرة إلى المحيط.

فإذا تقرر هذا وتبين تشعب الطرق إليه فاعلم أيضاً أن له جل وعلا لكل طريق وجه لا يشبه الوجه الآخر كما لا يشبه الطريق فاختلفت إذن المعارف ولا تقول تضادت فصار كل متكلم عن الله بعد مشاهدة كانت منه إليه إنما ينطق عن حقيقة وقد خالف طريق صاحبه فاختلفت المشاهدة فتنوع المشهود فتنوعت العبارة فوقع الإنكار عند السامع المحجوب الذي ليس له مدخل في هذه الحقائق فسمع محققين قد اختلفا وكلاهما يقول أن الله اريد بما أقول فيحمل السامع كلاهما على الجهل ويقول لا بد أن يكون الحق عند أحدهما.

أو ليس عندهما حق على حسب ما تعطيه القسمة في الانتشار أو الانحصار وكلاهما مصيب لا محالة عند المحقق العارف بالحضرة الإلهية فإذا ثبت هذا فقد تبين أن الساري إلى الحق والنائم في المنزل كلاهما سار وكلاهما عند الصباح واصل غير أن المشاهدة اختلفت إذ ليس طريق النوم طريق التعب كان عليه السلام يحمد على السراء بالمنعم المفضل وعلى الضراء يعلى كل حال والمحمود واحد من حيث الذات والمحمود مختلف من حيث الصفات والأسماء فإن الأسماء التي عينها تكون الذات ليست الصفة التي عينها تكون الالآم فلا وجود للصفات إلا بالذات فلا معنى للذات إلا بالصفات والأسماء فإذا بالجملة يسلم لمن قال الحمد لله الراحم ويسلم لمن قال الرحمٰن ولهذا حق يرجع إليه فالأمر دقيق يعسر على الأفهام فأبو يزيد نام عاشقاً فاستيقظ ومحبوبه عند رأسه التي تطلبه القافلة والقافلة أصبحت فحطت عند مطلوبها في الوقت الذي استيقظ فيه أبو يزيد برفيقتين صحيحتين مختلفتين متماثلتين.

وقد ذكرنا هذا المقام مرموزاً في كتاب عنقاء مغرب في مرجانة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رد لك حجاب الحق من طوارق الخلق وتمام الطواسم من سر الطلاسم إذا انفجر الصبح ودخل القمر في صورة الفتح فتعوذوا بالله من شره واسألوا أن يدرأ عنكم اليم ضيره وهو اللطيف الخبير ختمت ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

انتهى الكتاب والحمد لله رب العالمين.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كتاب القربة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه الحول والقوة

الحمد لله مخصص من شاء من عباده بخصائص علوم الإلهام والتجلي لهم في كل مشهد وموقف بحضرة الجلال والإكرام، والمسدي إليهم عوارف الآلاء ولطائف الأنعام، ومصرفهم في لطائف عوالم الأرواح وكثائف الأجسام، بفنون التصرفات الإلٰهية وضروب الأحكام، ومقيمهم سبحانه على ما صرفهم فيه بين النقض والإبرام، فأبرموا من الأمر ما كان منقوضاً ما له من نظام، ونقضوا منه ما كان مبرماً محكم الإبرام والالتحام، فصارت الكلمة عربية عرباء ذات سداد وقوام، بعدما كانت أعجمية خرساء ذات عوج وميل ما له من قيام. فقربت مأخذها على أهل البصائر والأفهام، وتسهل منها ما كان يتعسر عند الأفهام وانتقلت إلى مقام الإيضاح من مقام الإبهام، أكرم به من موقف عال وأعزز به من مقام مؤيدهم سبحانه في أحوالهم بالشواهد العزية القهرية القائمة الإعلام. فهم المتبرزون المقامات المحمدية الجسام، المقول عليها بلسان القرآن يا أهل يثرب لا مقام لكم في صدر تشريف فارجعوا رحمكم الله إلى مناهج الإرشاد والإعلام فأنتم الملائكة البررة المشهودون في صور البشرية وأنتم السفرة الكرام. وهم الطاهرون بنعوت العز الأحمى عند المبعوث بالتقريب والمخصوص بالكلام، المظهرون عيون الحقائق، وامتداد الرقائق بفنون دقائق المعارف في موارد العقول ومصادر الأوهام. الأدباء عند نسبة الأفعال إلى حضرة العلي الخلاق العلام لما تقتضيه الأفعال من الممادح الوضعية والمذام، فمنها ما هو خالص في باب الذم تام، كخرق السفينة فأردت أن أعيبها ولم يقل فأردت أن أخلصها، وإذا مرضت بتحكم سلطان الأوجاع والآلام، ومنها ما هو مشترك بما تعطيه قضية الإلزام، كالمسألة المعروفة من قتل صاحب موسى عليهما السلام للغلام، ومنها ما هو خالص للمدح كقوله ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] وإقامة جدار كنز الإيتام، فهم المتنزهون البرآء من تعدي الحدود الإلٰهية وارتكاب الآثام، الموصوفون بالغيرة على الإسرار فهم أهل السير والاكتتام، وهم الموسومون بالسطوة على الجبابرة العظام، لما خصهم به سبحانه عند التجلي الذاتي بمنزل السلام، الموصوفة ذواتهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في مقاصيرهم العزة فهن الحور المقصورات في الخيام، ولما كانوا على بينة من ربهم وتلاهم شاهد منهم رفعهم به إلى ما تعطيه واجبات الإحسانين الإيمان والإسلام، وأيدهم بالقوة الإلٰهية فمكنهم من الستر على عيون الأنام بل على عيون الليالي والأيام، وإن كان قد خرج لهم التشريف بقدم محمد ﷺ دون سائر الإقدام فما منعهم عن ما ذكرنا من الهجوم والإقدام، لكن زادهم قوة إلى قوتهم في مواطن الإقحام والإحجام، فهم الأفراد الذين لا يعرفهم الأبدال ولا يشهدهم الأوتاد ولا يحكم عليهم الغوث والقطب والإمام وصلى الله على من هذه كلها بعض أنواره الساطعة المخصوص بالوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمحاميد المكتومة بالمقام المحمود وحالة الكمال والتمام، وعلى آله ما تاقت نفوس العلماء بالله وهم في قصورهم إلى الظل من الغمام، لا ما لاح نجم وناح حمام، فإنها حالة لها انقضاء وانصرام، وغرض العارفين ما يعطيه البقاء ويشهد له الدوام، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد فإن الحقيقة العامة إذا تحكم سلطانها في العبد الكلي وبدت دلالاتها على شاهده وظهرت آياتها وعجائبها على ظاهره شهد كل صديق من حيث صديقته بزندقته وكذلك الإمام صاحب النفوذ والأحكام، وذلك أنه أخذ من وجه الحق الذي منه ينظر إلى مبدعه وموجده ولذلك سموا أفراداً أي ليس لهم حكم العموم ولكن من هذا مقامه له قوة التستر عن أعين الخلق حتى لا يتسلط الخلق على فساد بنيته، ومنهم من له هذا المقام ولكن أعطى من القوة من يحمله ولا تظهر أحكامه عليه كأبي بكر الصديق وغيره ولكن له مواطن يظهر فيها سلطان هذا المقام بحيث لا يشهد عليه لسان الإنكار إلا بغفلة ونسيان من المنكر ثم يرجع إلى حضوره مع علمه بهذا الموطن فيقوله بالحق وإن كان لا يعطيه شرعه كقصة موسى والخضر عليهما السلام وكقول عمر رضي الله عنه: «فما هو إلا أن رأيت أن الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق» ومن هذا المقام قابل ومن هذا المقام حكم المجتهدين من علماء الإسلام إذا اجتهدوا يلوح لهم منه تجليات يعرفون بها الأحكام بتعريفها ولا يعرفونها فينسبونها إلى نظرهم بجهلهم بهذه المرتبة ثم إذا رأوها على من ليس بمجتهد وهو يحكم وقد أخذ ذلك بعينه من غير طريقة الاجتهاد المعلوم واختلفت الطريق واتحد الحكم أفتوا بقتله وشهدوا بزندقته وقالوا: هذا لا يجوز ولا يحل ولو قيل لهم هذه الشروط التي وضعتموها للمجتهد في دين الله هل هي وضعكم أو نقلتموها عن رسول الله ﷺ فإن كانت عن وضعكم فلا كرامة لكم وإن كنتم نقلتموها عن الكتاب والسنة والإجماع على قول من يقول بها فهاتوا الدليل.

فإن قالوا: قال رسول الله ﷺ كل مجتهد مصيب وإذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر وإذا أصاب فله أجران، قلنا: صدق رسول الله ﷺ وفهمتم مقالته لا غير ما اعترضنا عليكم

في المجتهد وإنما كلامنا في شروط المجتهد من نصبها لكم وسلمنا أن ما اشترطتموه في المجتهد فلنطالبكم بماذا حصرتم وجوه الاجتهاد في ذلك ثم نقول ذلك شروط المجتهد النقلي وللاجتهاد طريقة أخرى وهي تصفية النفس وتزكيتها وتحليتها بالحق الحميدة وتخلقها بالخلق الربانية وتهيؤها واستعدادها لقبول العلوم من الله فإذا صفى المحل بهذا النوع من التصفية لاح له علم الحق في مسألة من مسائل الأحكام مثل ما لاح للمجتهد عندكم فاختلف الطريقان واتحد الحكم فبأي وجه أخذتموه من الشافعي ولم تأخذوه مثلاً من شيبان الراعي صاحبه والعلم لله ليس لكم وإنما لكم الاجتهاد والنظر ويخلق الله (العلم عنده) عقيبه إن كان في المعقولات والحكم إن كان في الظنيات كذلك صاحبنا له (الاجتهاد في) التصفية والتهيؤ بالفقر واللجأ إلى الله تعالى وصدق العزم في الأخذ وعدم الاتكال على قوته وحوله فيخلق الله العلم عنده عقيب هذا الفعل مثلكم فهل هذا إلا تعصب منكم قال به أحد من المجتهدين المتقدمين ولو انفرد به واحد منه ربما وجدتموه ثم إذا وجدتموه صار حقاً عندكم بعدما كان باطلاً وفسقاً وما شهد لكم بعصمة ذلك الذي استندتم إليه وغايتكم أن تقولوا اجتهادنا أدانا إلى تصديق ذلك وتكذيب هذا وهو محل النزاع فالله يعفو عنا وعنكم ولقد ورد حديث مسند وإن لم يكن إسناده بذلك القائم أن النبي ﷺ أمر أن يجعل الحكم إذا لم يوجد له دليل شورى بين الصالحين فما حكموا به قبل، ولكن لسنا ممن يتعرض للاحتجاج بمثل هذه الأخبار التي لم يقم إسنادها على ساق يقربه الخصم ولا بما يحتمل التأويل وشبه ذلك بل ما يعطي طريقنا مخاصمتكم وإنما أوردنا هذا تنبيهاً لغافلكم عسى ينصف ويرجع فإن الغالب علينا وما يعطيه حال هؤلاء الأفراد ترك التحكم في العالم بالصورة الظاهرة لكن لهم الهمم فإن المراد من القبول الذي يفتي المجتهد بقتله من كونه على حاله ويعطي لذلك في الشرع ولكن يمنع من قتله عزه وسلطانه فللمجتهد أن يفتي بقتله ولا يعظم عليه سلطانه وهذا أقوى ما عند علماء الرسوم وأصحابنا إذا أعطاهم وأرادهم بأن ذلك يجب قتله لم يمنعه منهم سلطانه ولا حصنه أحالوا عليه همتهم فعرض له عارض من ذاته أو من غيره فقتله فلا يحتاجون من هذا إلى الحكم بما ينكرونه عليهم ويسلمونه لكم، وإن تنبهتم فقد أفدناكم وإلى طريق الحق أرشدناكم، ولنرجع إلى أصحابنا ولنقل: يا أولياءنا وأصفياءنا الأخفياء الأبرياء الغرباء الذين قصرت بهم الهمم عن هذه المراتب الفردانية أنصتوا وإذا أنصتم فلتسمعوا وإذا سمعتم فعوا وإذا وعيتم فاعملوا واتكلوا لعلكم تفلحون.

اعلموا أن كثيراً من أهل طريقنا كأبي حامد الغزالي وغيره تخيل أنه ليس بين الصديقية والرسالة مقام وأن من تخطى رقاب الصديقين وقع في النبوة وبابها مسدود عندنا دوننا فلا سبيل إلى تخطيهم لكن لنا المزاحمة معهم في صفهم هذا غايتنا، ولسنا نعني بالصديق أبا

بكر ولا عمر ولا أحداً رضي الله عنهم فإن أبا بكر من جملة أحواله كونه صديقاً وقد شاركه في هذا المقام غيره من الصديقين ولذلك قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩] وقد فضل الصديق بسر وقر في صدره أعطاه الله إياه وشهد له به رسول الله ﷺ فعندنا بين الصديقية والرسالة مقام وهذا هو المقام الذي ذكرناه والذي أقول به أنه ليس بين أبي بكر رضي الله عنه وبين النبي ﷺ رجل ولا نذكر الصديقية فأرفع الأولياء أبو بكر رضي الله عنه فاجتهدوا رضي الله عنكم في تحصيله وأنا أنبهكم على العلامات التي تستدلون بها عليه، وذلك أنكم إذا قمتم بشرائط الخلوة كما ذكرناها في كتاب الخلوة ورفعت لكم أعلام المشاهد وقطعتموها وشاهدتم وعاينتم وأطلعتم ونزهتم ووقفتم المواقف المقدسة وقلبتم العوارف العرفانية فأنتم من أهل الولاية العظمى والدائرة المحيطة الكبرى لا تتسلطوا في التحكم في العالم بالهمم أو بالصورة الظاهرة إن كانت لكم قوة سلطان أصلاً لعلو المقام الذي أنتم عليه فإن الله مستدرجكم فيه من حيث لا تعلمون وقد قال: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ۝١٨١ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٢ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ۝١٨٣﴾ [الأعراف: ١٨١ ـ ١٨٣] ولم يقل من الدنيا فقد يملي لكم من هذه الصنف فإنه سبحانه يملي لكل طائفة من حيث ما تشتهيه وتتعشق به واستوى في ذلك أبناء الدنيا وأبناء الآخرة والاستدراج والمكر لهذه الطائفة أسرع وأنفذ من غيرهم من الطوائف فالله الله لا تنفذوا حكماً ولا تتعدوا حداً من الحدود المعلومة عند أهل الرسوم وإن اختلفوا في ذلك وحرم الواحد عين ما حلله الآخر فلا تتقلد هذا الرسمي في شيء من ذلك ولا تخالفه واعمل ما توجه عليك في وقتك مما فيه سلامتك واشتغل بنفسك شغلاً كلياً واهرب إلى محل إجماعهم فإن لم تجد إجماعاً فكن مع أكثرهم فإن لم تجد كثرة فكن مع أصحاب الحديث في تلك المسألة المطلوبة، وقل أن يحتاج أهل الطريق إلى مثل هذا لأنهم قد زهدوا في الدنيا فقلت أفعالهم فقل الحكم عليهم فإذا بدت لكم وفقكم الله حضرة الأحكام وتنزلات الشرائع ورأيتم خازنها جبريل عليه السلام فذلك أول أعلام تحصيل هذا المقام فإن مد بين يديك هذا اللوح الذي يتضمن الأحكام فستعاين الأوضاع والشرائع الحكمية والنبوية وستعاين الأعصار والأماكن وستعاين الأحوال وستعاين توجه هذه الأحكام على الأحوال لقيامها بالأشخاص فينفذ الحكم في الشخص للحال لا لعينه فاحفظ ما تراه.

واعلم أن جبريل لا ينزل على غير رسول يوحي أبداً ولا ينسخ شريعة فتعمل هناك في وسيلة ورقيقة تكون من ذلك اللوح إلى قلبك إن أردت تحصيل هذا المقام فتسجد صورة جبريل وما هي بجبريل وهي مختصة بالأولياء فانظر إليها فإن رأيتها ناظرة إليك فاعلم أنك منهم وإن لم ترها ناظرة إليك فاعلم أنك غير مراد لذلك المقام فتأدب وانصرف وكن من

الأولياء الذين ما لهم تصريف واجعل بالك إلى الحقيقة التي تراها على الصورة الجبرئيلية فسترى منها رقائق كثيرة ممتدة نافذة قد تجللتها تنزلات حكمية فأنزل معها بعينك نحواً لكون الأسفل فستراها متصلة منها ما هي بقلوب الأفراد ومنها ما هي بقلوب المجتهدين من علماء الرسوم فإذا عاينت هؤلاء الأشخاص آخذين منهم ما تعطيهم الأحكام بالأدب الكامل وسترى المجتهدين من علماء الرسوم عيونهم مصروفة إلى أفكارهم وأفكارهم حائلة في الوقائع ولك الرقائق تندرج لهم في الوقائع فتبدو لهم الأحكام من خلف حجاب رقيق فيقولون الحكم في هذه المسألة كذا فحقق الزمان والمكان والحال من جميع وجوهه فسترى تلك الواقعة بعينها عند ذلك المجتهد بعينه قد رجع من ذلك الحكم إلى حكم آخر فانظر إلى الرقيقة فتجدها تهب على حسب الزمان أو الحال أو المكان ولهذا اختلفت معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء وخرق العوائد عند أربابها بالمكان والحال والزمان.

ثم انظروا وفقكم الله إلى تلك الحقيقة التي على صورة جبريل التي بيدها ذلك اللوح هي الملقية لجبريل ما يلقي على الرسل صلوات الله عليهم وجبريل هو على الحقيقة على صورتها، وإنما عكسنا الأمر لمعرفتكم بجبريل دون معرفتكم بها، ولهذا ينقل عن بعض العارفين أنه يقول يتنزل جبريل على قلوب الأولياء للاشتراك في الصورة والإحساس بالتنزل ولكن ما أنصف ولا وفى صاحب هذا القول الحقائق حقها بل ما يقولها من له مثل هذا المقام ثم ارتفع بالنظر في هذه الحضرة عن النظر لهذه الرقائق وانظر مراتب القوم فيها فستجد مرتبة الرسل من كونهم عارفين فأولياء لا من كونهم رسلاً فوق المراتب البشرية كلها ثم ترى مدرجتهم من ذلك المقام إلى ذلك اللوح إلى القبول إلى النزول بالحكم فتخلع عليهم خلع الرسالة عند هذا اللوح فينزلون بها فهم من كونهم أولياء عارفين أرفع من كونهم رسلاً فإن الولاية والمعرفة تحصرهم في بساط المشاهدة في الحضرة المقدسة والرسالة تنزلهم إلى العالم الأضيق ومشاهدة الأضداد ومكابدة الأسماء الإلهية القائمة بالفراعنة الجبابرة فلا شيء أشد عليهم من مقارعة الأسماء بالأسماء، ولهذا كان يقول ﷺ بعد استعاذته من الأفعال والأحوال أعوذ بك منك لشدة سلطان هذا المقام، وإذا شهدتم هذا يا إخواننا فانظروا إلى حظ الورثة من هذه الرسالة في قوله عليه السلام العلماء ورثة الأنبياء وقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] فلهم الحكم فيها وإذا سمعتم لفظة من عارف محقق مبهمة وهو أن يقول الولاية هي النبوة الكبرى والولي العارف مرتبته فوق مرتبة الرسول فاعلم أنه لاعتبار الأشخاص من حيث ما هو إنسان فلا فضل ولا شرف في الجنس بالحكم الذاتي وإنما يقع التفاضل بالمراتب فالأنبياء صلوات الله عليهم ما فضلوا الخلق إلا بالمراتب، فالنبي ﷺ له مرتبة الولاية والمعرفة والرسالة ومرتبة الولاية والمعرفة دائمة الوجود ومرتبة

الرسالة منقطعة فإنها تنقطع بالتبليغ والفضل للدائم الباقي والولي العارف مقيم عنده والرسول خارج وحالة الإقامة أعلى من حالة الخروج فهو ﷺ من كونه ولياً وعارفاً أعلى وأشرف من كونه رسولاً وهو الشخص بعينه واختلفت مراتبه، لأن الولي منا أرفع من الرسول نعوذ بالله من الخذلان، فعلى هذا الحد يقولها أصحاب الكشف والوجود إذ لا اعتبار عندنا إلا للمقامات ولا تتكلم إلا فيها لا في الأشخاص فإن الكلام في الأشخاص قد يكون بعض الأوقات غيبة والكلام على المقامات والأحوال من صفات الرجال ولنا في كل حظ شرب معلوم ورزق مقسوم فاجتهدوا وفقكم الله في نيل هذا المقام وقد نبهتكم عليه وأظهرت لكم سبيله ونصبت لكم أعلامه وأقمت لكم معاذير علماء الرسوم في أحكامهم ومن أين مأخذهم فلا تطعنوا عليهم ولا تقاطعوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً واشتغلوا بنفوسكم عما هم الخلق عليه حتى يأتي أمر الله تعالى فعند ذلك يقف العارف به عند حده والله المرشد لا رب غيره. وانتهى بعض الغرض من هذا الكتاب في بيان هذا المقام وكنت ما رأيت أحداً من أصحابنا نبه عليه ولا ندب إليه بل منع ذلك أكثرهم لعدم الذوق فبقيت به وحيداً وبين أقراني فريداً لا أستطيع أفوه به من أجل منكريه إلى أن وقفت لأبي عبد الرحمٰن السلمي في بعض كتبه عليه نصاً وسماه مقام القربة فسررت بالمساعد الموافق والحمد لله رب العالمين. تم الكتاب على قدر الوقت لا على قدر الوارد وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، يتلوه كتاب الإعلام بإشارات أهل الإلهام إن شاء الله تعالى.

تمت